جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

# الأحوال السياسية لمملكة مالي في عهد منسا سليمان (٧٤١-٧٦١هـ/ ١٣٤١-١٣٦٠م)

***Political conditions of the Kingdom of Mali during the reign of Mansa Suleiman (741-761 AH / 1341-1360 AD)***

إعداد
**د. ياسر حنفي محمود عبدالعال**
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية اللغة العربية بالقاهرة
جامعة الأزهر

(العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الثالث-أغسطس)
(الجزء الرابع (١٤٤٦هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) 2536- 9083
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٤/٦٢٧١م

# الأحوال السياسية لمملكة مالي في عهد منسا سليمان

## (٧٤١-٧٦١هـ/ ١٣٤١-١٣٦٠م)

**ياسر حنفي محمود عبد العال**

قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر

**البريد الإلكتروني:** *yasserhanafi@azhar.edu.eg*

**الملخص**

تُعد مملكة مالي أقوى الممالك السودانية التي ظهرت في بلاد السودان الغربي، وبدأت في الظهور كقوة كبرى في هذه المنطقة منذ بدايات القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، والتي تميزت عن غيرها من الممالك السودانية؛ بالدور الكبير الذي نهضت به من أجل توحيد القبائل السودانية داخل ولايات أو وحدات أو ممالك، بالإضافة إلى دورها البارز في نشر الإسلام والدعوة له في جميع بلاد السودان الغربي.

وفاقت مملكة مالي سالفتها مملكة غانة من حيث العظمة والقوة والثروة والاتساع والشهرة، بفضل تولي حكمها ملوك أقوياء؛ نجحوا في بسط نفوذها، فقد سيطرت على أملاك مملكة غانة، وأخضعت مملكة صنغي لنفوذها، واستمرت في الوجود حتى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وبذلك تُعد مملكة مالي بسعتها وجهاز إدارتها من ناحية أخرى دليلًا حيًا واقعيًا على قدرة أهل السودان في التنظيم السياسي والاستثمار الاقتصادي.

وقد بلغت مملكة مالي الإسلامية ذروة مجدها وقوتها واتساعها في عهد منسا موسى (٧١٢هـ/ ١٣١٢م)، إلا أنه على إثر وفاته عام (٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م)؛ دخلت المملكة في حالة من الضعف بسبب الصراع على السلطة، إلى أن وصل إلى الحكم منسا سليمان (٧٤١-٧٦١هـ/ ١٣٤١-١٣٦٠م)، الذي حاول إعادة هيبة المملكة بعد التدهور الذي وصلت إليه خلال عهد ابن أخيه "مغا الأول"، ونجح منسا سليمان نجاحًا كبيرًا في استرجاع بعض البلاد التي فقدت، وانصرف إلى الإصلاح الداخلي، وبقيت مالي في عهده في اتساع وتمدد وخضعت القبائل والمدن المجاورة لحدودها، وارتبطت بعلاقات

سياسية وتجارية مع دول المغرب ومصر.

**الكلمات المفتاحية**: مملكة مالي، السودان الغربي إفريقيا جنوب الصحراء، مملكة صنغي، منسا سليمان.

# Political conditions of the Kingdom of Mali during the reign of Mansa Suleiman (741-761 AH / 1341-1360 AD)

*Yasser Hanafi Mahmoud Abdel-Al*
*Department of History and Islamic Civilization, Faculty of Arabic Language, Cairo , Al-Azhar University*

**Email:** *yasserhanafi@azhar.edu.eg*

## Abstract:

***The Kingdom of Mali is considered the most powerful African kingdom that emerged in the western Sudan, and it began to emerge as a major power in this region since the beginning of the seventh century AH/thirteenth century AD, which distinguished itself from other Sudanese kingdoms; by the great role it played in unifying the Sudanese tribes within states, units or kingdoms, in addition to its prominent role in spreading Islam and calling for it in all the countries of western Sudan.***

***The Kingdom of Mali surpassed its predecessor, the Kingdom of Ghana, in terms of greatness, power, wealth, expansion and fame, thanks to the rule of powerful kings who succeeded in extending their influence. It controlled the possessions of the Kingdom of Ghana, and subjected the Kingdom of Songhai to its influence, and continued to exist until the ninth century AH/fifteenth century AD. Thus, the Kingdom of Mali, with its vastness and administrative apparatus, is, on the other hand, living and realistic evidence of the ability of the people of Sudan in political organization and economic investment.***

***The Islamic Kingdom of Mali reached the peak of its glory, power and expansion during the reign of Mansa Musa (712 AH/1312 AD). However, following his death in 737 AH/1337 AD, the kingdom entered a state of weakness due to the struggle for power, until Mansa Suleiman (741-761 AH/1341-1360 AD) came to power. He tried to restore the prestige of the kingdom after the deterioration it had reached during the reign of his nephew, "Maga I." Mansa Suleiman was very successful in recovering some of the lost lands, and he devoted himself to internal reform. During his reign, Mali continued to expand and expand, and the tribes and cities neighboring its borders were subject to it, and it was linked by political and commercial relations with the countries of the Maghreb and Egypt.***

**Keywords***: Mali Kingdom, Western Sudan,Sub ,Saharan Africa Songhay Kingdom, Mansa Suleiman*

.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

**وبعد،،،**

فقد استمرت مملكة مالي[١] كوحدة سياسية قائمة من منتصف القرن الخامس الهجري إلى مستهل القرن الحادي عشر الهجري، على أن مرحلة ظهورها على الساحة السياسية السودانية كقوة بارزة، لا تتجاوز الفترة ما بين (٦٢٨-٨٣٤هـ/ ١٢٣٠-١٤٣٠م) ففي خلال تلك الفترة نشأت مالي نشأة حقيقية، واتسعت حدودها لتشمل معظم الإمارات والممالك السودانية، مثل: (إمارة كوكو[٢]، وسلطنة التكرور[١]،

---

(١) قامت مملكة مالي بعد سقوط مملكة غانة، وكان أول ملوكها سندياتا (٦٢٨-٦٥٣هـ/١٢٣٠-١٢٥٥م)، وقد توالى على حكم مملكة مالي بعد سندياتا عدد من الملوك، كان من أشهرهم الملك منسا موسى (٧١٢-٧٣٧هـ/ ١٣١٢-١٣٣٧م)، وأخوه منسا سليمان (٧٤١-٧٦١هـ/ ١٣٤١-١٣٦٠م)، وكانت مملكة مالي تشمل ما يُعرف في الوقت الحاضر بالدول التالية: جمهورية مالي في الوسط موريتانيا الجنوبية في الشمال والسنغال، وغينيا في الغرب، وأراضي ساحل العاج الشمالية، والفولتا في الجنوب، وجمهورية النيجر في الشرق، انظر: ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبطه ووضع حواشيه الأستاذ: خليل شحادة، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م، ج٦ ص٢٦٦-٢٦٨؛ عبد الرحمن زكي: تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ١٩٦١م، ص٧؛ نعيم قداح: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٧٥م، ص٤٤.

(٢) كوكو: مدينة معروفة في بلاد السودان، وسمى العرب أهلها البزركانيين، وهي مدينتان، مدينة الملك، ومدينة المسلمين، وملكهم يسمى: "فندا"، ولهم بأس وقهر لمن جاورهم من الأمم المحيطة بهم، انظر: البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك ←←←

ومملكة غانة[٢])، وباندماج هذه الوحدات في كيانها، أصبح نفوذ مملكة مالي يهيمن على كل مناطق بلاد السودان الغربي[٣].

---

→→→

والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص١٨٣؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، دار صادر، بيروت د.ت، ص١٥٧؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، نشر مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٧٥م، ص٥٠٢.

(١) التكرور: والجمع تكارير(Takarir)، وهي مدينة في الأصل تقع على جانبي نهر السنغال، وقد عم اسمها على الإقليم الواقع في أقصى جنوب المغرب بما في ذلك السكان الذين عرفوا بالتكرور، كلمة تكرور ليست الاسم الأصلي للمملكة، وإنما أطلق عليها البربر هذا الاسم، وحرفه المؤرخون الفرنسيون إلى " توكولور"، ولهذا أطلق هذا الاسم على المدينة والمملكة والشعب، انظر: القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٥م، ج٥، ص٢٨٦ ؛ حسين مراد: التكرور، موسوعة التاريخ الإسلامي، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠١٥م، جـ١، ص٥٧١؛

*Delafosse, Maurice: Haut Sénégal-Niger :édition :Emil la rose librairie, Paris 1912, P.353.*

(٢) غانة: كانت أول حكومة سياسية في بلاد السودان الغربي، بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين، تأسست ما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين/ التاسع والحادي عشر الميلاديين، وكانت تضم المناطق الواقعة إلى الشمال من نهر السنغال ونهر النيجر إلى مشارف الصحراء الكبرى. انظر: القلقشندي: مصدر سابق، ج٥، ص٢٨٤؛ الحميري: مصدر سابق، ص٤٢٥؛ باسيل دافيدسون: إفريقيا القديمة تكتشف من جديد، ترجمة: نبيل بدر، وسعد زغلول، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص٤٣.

(٣) مصطلح السودان الغربي هو ذلك المصطلح الذي يعني القسم الغربي من بلاد السودان الذي يقع جنوب الصحراء الكبرى، وتمثل هذه المنطقة المجال الموازي لبلاد المغرب وتفصل بينهما الصحراء الكبرى، وبذلك فإن هذه المنطقة تمتد بين خط الاستواء جنوبًا ومدار السرطان شمالًا، وهي منطقة شبه استوائية مرتفعة الحرارة، تكثر بها الأمطار، ويجري بها نهرا: السنغال، والنيجر، وتقع مملكة مالي ضمن ذلك الجزء المعروف ببلاد السودان الغربي، انظر: إبراهيم مصطفي: المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، نشر دار الدعوة، القاهرة، د.ت، جـ١،

←←←

وقد بلغت مملكة مالي قمة ازدهارها وأوج عظمتها في عهد السلطان منسا موسى (٧١٢-٧٣٧هـ/ ١٣١٢-١٣٣٧م)، الذي وصفته المصادر بالصلاح والعدل وعظمة الملك[١]؛ وهذا ما أخبر به محمود كعت، قائلًا: (وكنا نسمع من أعوام عصرنا يقولون سلاطين أربعة ما خلا السلطان الأعظم سلطان بغداد، وسلطان مصر، وسلطان برن، وسطان مل)[٢]، حيث أصبح مسيطرًا على بلاد واسعة امتدت من المحيط غربًا وحتى تشاد شرقًا[٣]، ولكن بعد وفاته (٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م) دخلت مملكة مالي في مرحلة من الضعف وتنازع الأمراء على الحكم، إلى أن استقر بعدها الحكم لأخيه منسا سليمان (٧٤١-٧٦١هـ/ ١٣٤١-١٣٦٠م)، الذي استمر حكمه أربعة وعشرين عامًا، وبقيت

---

→→→

ص٤٦؛ عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٧١م، ص١٥؛ محمد القشاط: صحراء العرب الكبرى، دار الراوي للطباعة والنشر، طرابلس، ليبيا، ط١، ١٩٩٤م، ص٢٦٩؛ ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٠م؛ ص١٠؛ حسين مراد: الصلات بين المغرب والسودان الغربي (خلال القرن ٢-٦هـ/ ٨-١٢م)، مؤتمر جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، ٢٠٠٦م، ص٣٧٣.

(١) ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٢٦٧؛ السعيدي: ملوك السودان أهل سنغي وقصصهم وأخبارهم وغزواتهم، وذكر تنبكت ونشأتها ومن ملكها من الملوك، تحقيق: هوداس وبنوا، مطبعة أنجي، باريس، ١٨٩٨م، ص٥-٧.

(٢) محمود كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشره هوداس ودولافوس، مطبعة إنجي، باريس، ١٩١٣م، ص٣٨.

(٣) بوفيل: الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، ترجمة: زاهر رياض، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص١٦٠-١٦١؛ حسن أحمد محمود: دور العرب في نشر الحضارة في غرب إقريقيا، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م، مج، ١٤، ص٥٩-٦٠.

مملكة مالي في عهده في اتساع وتمدد، ونجح في إخضاع القبائل والمدن المجاورة لحدودها، وقد ظلت أصداء هذه الفترة الزاهية عالقة في أذهان السودانيين[١].

وسوف أتناول هذا البحث من خلال النقاط الآتية:-

**أولًا: ملامح شخصية منسا سليمان.**

**ثانياً: ظروف تولية منسا سليمان الحكم.**

**ثالثاً: نظم الحكم والإدارة في عهد منسا سليمان.**

**١- نظام ولاية العهد.**

**٢- الجهاز الإداري.**

**٣- الجيش.**

**٤- القضاء.**

**٥- عادات البلاط الملكي وتقاليده.**

**٦- مشاركة المرأة في الحكم.**

**رابعاً: الجوانب الحضارية في عهد منسا سليمان.**

**خامساً: العلاقات السياسية لمملكة مالي في عهد منسا سليمان.**

**١- العلاقات مع الممالك والدول السودانية المجاورة.**

**٢- العلاقات مع مصر وبلاد المغرب.**

**سادساً: ضعف مملكة مالي ووفاة منسا سليمان.**

**وفي الختام: أسأل الله القبول، وأن يلهمنا التوفيق والسداد،،،**

---

(١) أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩م، ص١٨٧.

## أولًا: ملامح شخصية منسا سليمان

من أبرز ملامح شخصية منسا سليمان والصفات التي وصف بها أنه كان عادلًا ولا يقبل الظلم، وحرص على إنصاف المظلومين، وهو ما جعل الرعية تحترمه وتتذلل إليه، لدرجة تقترب إلى التقديس والعبودية[١]، وفي هذا الصدد يقول ابن بطوطة: "السودان أعظم الناس تواضعًا لملوكهم وأشدهم تذللًا له، ويحلفون باسمه فيقولون: ــ بصدد منسا سليمان ــ منسا سليمان كي"[٢]، وقد وصل في احترامهم وتقديرهم، أنه إذا أراد أحد الرعايا أن يدخل قصر السلطان لأي أمر، فلا بد أن يخلع نعليه[٣].

وإلى جانب صفة العدل كان منسا سليمان صالحًا تقيًا محافظًا على الصلاة وحفظ القرآن، وكان يشجع على حفظه والاهتمام بالتعليم، وبناء المساجد[٤]، وإلى جانب هذه الصفات التي كان اتصف بها منسا سليمان إلا أن ابن بطوطة وصفه بالبخل وذلك عند زيارته لمملكة مالي، فتقدم لمقابلة السلطان فسلم عليه، فقال له السلطان: "اشكر الله"،ــ وذلك عن طريق القاضي والخطيب وابن الفقيه العالم ــ، فقال ابن بطوطة: "الحمد لله والشكر على كل حال"، ثم أرسل له السلطان بعد ذلك بواجب

---

(١) ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ج٤، ص٤٥٧؛ القلقشندي: مصدر سابق، ج٥، ص٣٠٠.

(٢) تحفة النظار: ج٤، ص٦٩٦؛ صلاح الدين المنجد: مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٢م، ص٨٣.

(٣) تحفة النظار، ج٤، ص٤٠٧-٤٠٨.

(٤) المصدر السابق، ج٤، ص٤١٤-٤١٦.

الضيافة[١]، وفي رمضان بعث له السلطان "ثلاثة وثلاثين مثقالًا وثلثًا من الذهب، وأمر له بدار ونفقة تجرى عليه مدة إقامته، وعند سفره أعطاه مائة مثقال ذهبًا[٢]، ومن أجل هذا العطاء القليل وصفه ابن بطوطة بالبخل بقوله: "لا يُرجى منه كبير عطاء"، وقارن بين عطاياه وعطايا أسلافه العظماء أمثال: "منسا موسى"[٣].

ويرى أحد الباحثين أن وصف ابن بطوطة للسلطان منسا سليمان بالبخل له مبرراته، وذلك لأنه لما تولى منسا سليمان عرش مملكة مالي كانت على وشك الانهيار، فقام بتنظيمها من جديد واستعاد الأقاليم التي فقدتها أثناء فترة حكم ابن أخيه "منسا مغا" (٧٣٧-٧٤١هـ/ ١٣٣٧-١٣٤١م)، وقام ببناء المساجد والجوامع والمنارات، وكانت تلك العملية تحتاج إلى أموال كثيرة، كما أنه أراد أن يعيد للمملكة توازنها المالي والاقتصادي بعد مرحلة البذخ والإسراف غير المحدود الذي عرفته مملكة مالي في عهد منسا موسى[٤].

ويرجح أن ما فعله منسا سليمان مع ابن بطوطة قد أحس بأبعاد مهمته، فتظاهر أمامه بالبخل حتى يعطيه انطباعًا مغلوطًا عن مدخرات مملكته من الذهب؛ لأن رحلته هذه كانت بإيعاز من السلطان المريني أبي عنان، ليتعرف على أحوال مملكة مالي ويقدم له تقريرًا بذلك[٥].

---

(١) كان واجب الضيافة يتمثل في ثلاثة أقراص من الخبز وقطعة لحم بقري مقلوة بالغرتي ــ ثمر كالأجاص شديد الحلاوة ــ وقرعة لبن رائب، انظر: تحفة النظار: ج٤، ص٦٩٦.

(٢) تحفة النظار: ج٤، ص٤٠٧.

(٣) تحفة النظار: ج٤، ص٦٩٦؛ إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م، ص١٠١؛ أحمد الشكري: مرجع سابق، ص٢٧٧.

*(4)Trimingham , J , S: A History Of Islam In West Africa , Oxford, 1962, p.71.*

(٥) تحفة النظار: ج٤، ص٦٩٦؛ أحمد الشكري: مرجع سابق، ص٢٧٧.

## ثانياً: ظروف تولية منسا سليمان الحكم:

تولى منسا سليمان بن أبي بكر شقيق منسا موسى حكم المملكة (٧٤١-٧٦١هـ/ ١٣٤١-١٣٦٠م) في ظروف مضطربة بسبب الصراع الداخلي على الحكم، فقبل وفاة منسا موسى قام بتعيين ابنه "مغا" نائبًا له، ثم خلفه في السلطة بعد وفاته عام (٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م)، واعتلى عرش المملكة باسم "منسا مغا الأول" (٧٣٧-٧٤١هـ/ ١٣٣٧-١٣٤١م)، ــ وبذلك حرم منسا موسى أخاه سليمان من حقه في العرش ــ باعتباره أكبر الأبناء الذكور في الأسرة الحاكمة[١].

ولم يكن لدى "منسا مغا الأول" القدرة وحسن التدبير على إدارة شئون المملكة، الأمر الذي جعل مملكة مالي في عهده تدخل في فوضى عارمة وبدأت عوامل الضعف تحل في أركانها، ففي خلال مدة حكمه والتي لم تتجاوز أربع سنوات[٢]، لم تكف قبائل "الموشي الوثنية"[٣] ــ المقيمة في منطقة "ياتنجا Yatenga"ــ، عن مداهمة مالي

---

(١) نعيم قداح: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ص٥٧؛
*Levtzion, N: Ancient Ghana And Mali, Africana Publishing Company, New York, 1980, P. 67.*

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٦٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٢٩٧.

(٣) الموشى أو الموسى قبائل وثنية تتواجد في الجنوب الغربي من مملكة صنغي، فقد كان ملوك صنغي يشنون عليها حروبًا دائمة ومستمرة، انظر: محمد المفتي مرحبا: تاريخ ملوك بلاد الموشى وأحوالهم، مخطوطة محفوظة بمعهد البحوث في العلوم الإنسانية، جامعة نيامي، النيجر، تحت رقم ٦، ورقة ٥-٨؛ ميشيل إيزارد: شعوب وممالك منعطف النيجر وحوض الفولتا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، ١٩٨٨م، مج٤، ص٢٢٤-٢٢٥.

والقيام بأعمال النهب والتخريب فاستولت على مدينة "تنبكت"[١] وأحرقتها بعد أن قضت على حامية المدينة[٢].

وبعد وفاة "منسا مغا الأول" عام (٧٤١هـ/ ١٣٤١م)، نجح في الوصول إلى عرش مملكة مالي عمه "منسا سليمان" عام (٧٤١-٧٦١هـ/ ١٣٤١-١٣٦٠م)، وقد اجتمع له ما فتحه أخوه من بلاد السودان[٣]؛ وبالتالي بذل منذ توليه العرش جهدًا كبيرًا لإصلاح ما أفسده ابن أخيه وبالرغم من إخفاقه في استرداد جاو[٤] إلا أنه أعاد السيطرة على معظم الأقاليم التي فقدتها مالي[١].

---

(١) تنبكت: يكتبها السودانيون والصحراويون هكذا تنبكت ويزيدون أحيانًا الياء بعد التاء الأولى: "تينبكت"، فمعنى الاسم من مقطعين، "تين"، أي: مكان، "وبكتو": اسم سيدة، وكانت تحتفظ بزروع الطوارق وأمتعتهم لحين عودتهم إلى الصحراء، وتقع على مسافة اثني عشر ميلًا من فرع النيجر، وقد نشأت على أيدي طوارق مغشرن في أواخر القرن الخامس الهجري، ومساكنها عبارة عن أكواخ مبنية بالطين، وفي وسط المدينة مسجد مبني بالحجر بناه مهندس أندلسي، انظر: الحسن بن محمد الوزان: وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م، ص١٦٥؛ السعيدي، مصدر سابق، ص ٢٠-٢١؛ عبد القادر زبادية: مرجع سابق، ص١٠٠.

*(2) Bovill, E,W: The Golden Trade of the Moors, London, 1961, P.93.*

(٣) عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مطبعة يوسف، القاهرة، د.ت، ص٣٨.

(٤) جاو: عاصمة صنغي الإسلامية، وتقع على نهر النيجر، وتُعرف في الكتب العربية بأسماء مختلفة منها: (كاغ، وكوغا، وكاغو، وكوكو)، وكان العرب يسمون أهلها بالبزركانيين، وملكهم يسمى فندا، وهم يعبدون الدكاكير كما تفعل السودان، وهي تقع حاليًا بجمهورية مالي على الضفة اليسرى لنهر النيجر على بُعد ٤٤٠ كلم من مدينة تنبكت، انظر: اليعقوبي: تاريخ ←←←

## ثالثاً: نظم الحكم والإدارة في عهد منسا سليمان:

كان طابع الحكم في مملكة مالي استبداديًا، والملكية مطلقة، وفيها استغلال الرعايا لصالح الأسرة الحاكمة[٢]، وكان المنسا رئيس الحكومة ومصدر السلطات، ومحاطًا بعدد من كبار الموظفين وذوي المناصب الرفيعة[٣]، ويُعد قصر الملك مركز القيادة المركزية للبلاد، ومنه تصدر القرارات والأوامر إلى كافة الأقاليم والولايات والمدن الكبرى، وفيه يتم مراسم تتويج الملوك، وتقام الحفلات الرسمية والدينية[٤]، وعند تتويج الملك كان يتلقى ختمًا وسيفًا ونسخة من مصحف القرآن الكريم، ويتسم بلاطه بالفخامة وبه ألوان من الترف والبذخ[٥]، وكان في طريقه إلى المسجد ترافقه

---

→→→

اليعقوبي، مطبعة ليدن، ١٨٨٣م، ص١٩٣-١٩٤؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج٤، ص٤٩٥؛

*Rachel Maclean and Timothy Insoll: The Examples of Islamic Gao (Mali) and Bahrain, world Archaeology, Vol. 34, No.3,luxury food. Feb.2003. P.P.559-560.*

(١) ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٢٦٨.

(٢) إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، ص١٢٧؛

*Monteil, Ch: Les Empires de Mali, Paris, 1930, p.127.*

(٣) جبريل .ت. نياني: مالي والتوسع الثاني للماندانغ، تاريخ إفريقيا العام، إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، اليونسكو، ١٩٨٨م، مج٤، ص١٧١.

(٤) ابن بطوطة: مصدر سابق، ج٤، ص٢٧٧.

(٥) الشيخ الأمين عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي، دار المجمع العلمي، جدة، ١٩٧٩م، ص٦٢.

حاشيته التي تتكون من سبعمائة رجل يسيرون وراءه، وكل من يراه يتحتم عليه أن يخلع غطاء رأسه ويسجد ويذري التراب على رأسه وجسده[١].

ويصف العمري جلوس السلطان في مالي بقوله: "وسلطان هذه المملكة ــ يقصد مالي ــ يجلس في قصره على مصطبة كبيرة...على دكة كبيرة من أبنوس كالتخت... عليها أنياب الفيلة في جميع جوانبها، وعنده سلاح من ذهب كله سيف ومزراق وتركاش[٢]، وقوس ونشاب..."[٣].

وكانت مراسم تنصيب الملوك في السودان الغربي متأثرة إلى حد كبير بالممارسات التي كانت سائدة عند تنصيب بعض الحكام العرب المسلمين، ويدل على ذلك إقامة مراسم قسم يمين الولاء للملك الجديد بالمسجد وعقب تأدية الصلاة، ثم حملهم الشارات تشبهًا بالخلفاء والملوك العرب المسلمين، وحرصهم على الإحسان إلى الفقراء والمساكين بتوزيع الصدقات عليهم حال تسلمهم مقاليد الأمور في المملكة[٤].

---

(١) إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٣م، ص٣٣٣.

(٢)سيف ومزراق: يقصد به الرمح القصير، أما التركاش فهو لفظ فارسي، معناه: الجعبة أو الكنانة التي توضع فيها السهام، انظر: رينهارت بيتر آن دُوزِي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمَّد سَليم النعَيمي، وجمال الخياط، نشر وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط١، ٢٠٠٠م، ج٢، ص٣٨؛ الأمين محمد عوض الله: مرجع سابق، ص٦٢.

(٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات وآخرين، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي، ٢٠٠١م، ج٤، ص١٠٩.

(٤) مطير سعد غيث: التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، دار الرواد، بني غازي، ط١، ١٩٩٦م، ص٧٧-٧٨.

ويمكن القول: بأن ملوك مملكة مالي نقلوا إلى بلادهم النظم والوظائف الإسلامية، فيذكر العمري: "أن مملكة مالي عرفت القضاة والوزراء والكتاب والمترجمين والدواوين، وهي وظائف لم توجد إلا في العالم الإسلامي[١]، ولذلك كان نظام الحكم والإدارة في مملكة مالي يرتكز على عدة أنظمة، وهي:

## ١- نظام ولاية العهد:

كانت القاعدة العامة في ولاية العهد في مملكة مالي تقضي بأن يتولى العرش الابن الأكبر للسلطان الراحل، ولكن ليس من الضروري أن يسير تسلسل هؤلاء الأبناء رأسيًا بانتظام، فقد يتولى الإخوة واحدًا بعد آخر، من أبناء الملك المتوفي، مع عدم الإخلال بقاعدة السن[٢]، ففي العادة كان يوجد في الأسرة المالكة عدد مؤهل من الورثة متضمنًا الإخوة والأبناء وأبناء الأخوة، وكان يتم الاختيار من بين هؤلاء عن طريق طرح اسم الوريث على مجلس كبار الأسرة المالكة، والذي يضم وزراء المملكة، وأكبر سيدات الأسرة (الملكة الأم)، ولم يكن من السهل الموافقة على هذا الاختيار، الأمر الذي كان ينتج عنه نشوب الصراع بين أفراد الأسرة المالكة[٣].

وبناءً على هذا الاختيار كان نظام الحكم المتبع في مملكة مالي ملكيًا وراثيًا تتوارثه أجيال الأسرة المالكة، وعادة كان أكبر أبناء الملك يتولى العرش، إلا أن

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٤، ص١٢٠.

(٢) إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، ص١٢٧.

(٣) فيج. جي. دي: تاريخ غرب أفريقيا، ترجمة: السيد يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م، ص٥٨-٥٩؛

*Davidson, B: AGuide To African History, New York, 1965, P.25.*

القاعدة لم يتم التقيد بها دائمًا، فقد يتولى الإخوة أو أبناء البنت أو الأخت[١] كما حدث عندما تولى "أبو بكر ابن بنت ماري جاطه" عام (٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م)[٢] خليفة للملك المقتول "خليفة"[٣]، ونلمح هذا النظام في قول ابن خلدون: " وولي عليهم ـ أي أهل مالي ـ سبط من أسباط ماري جاطه، يُسمك بأبي بكر، وكان ابن بنته فملكوه على سنن الأعاجم في تمليك ابن الأخت، ولم يقع إلينا نسبه ونسب أبيه"[٤].

وحينما سئُل السلطان موسى كيف انتقلت إليه المملكة؟ فقال: "نحن أهل بيت نتوارث الملك"[٥]، يؤيد ذلك ما ذكره القلقشندي بقوله: "على قاعدة العجم في تمليك

(١) كان النظائم السائد في وراثة العرش في مملكة غانة هو توريث ابن الأخت، يقول البكري " وسنتهم أن الملك لا يكون إلا في ابن أخت الملك لأنه لا يشك فيه أنه ابن أخته، ولا يقطع صحة اتصاله به"، وتعليل البكري أن لهذه الظاهرة أصولًا ترجع إلى التقاليد الوثنية القديمة، انظر: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص١٧٥؛ إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م، ص١٩.

(٢) استمر أبوبكر حفيد ماري جاطه في الحكم لمدة عشر سنوات (٦٧٤-٦٨٤هـ/ ١٢٧٥-١٢٨٥م) لكنه كان ضعيفًا أيضًا، ولم يتحكم في زمام الأمور ودخلت المملكة في حالة من الفوضى والاضطراب، انظر: ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٤١٤.

(٣) تولى هذا الحكم لمدة عام (٦٧٣-٦٧٤هـ/ ١٢٧٤-١٢٧٥م)، وكان هذا الملك غريب الأطوار، فكان يرمي الناس بالسهام فيقتلهم، لذلك ثار عليه أهل مملكته وتعصب ضده رجال البلاط وقتلوه، واختاروا سبطًا من أسباط ماري جاطه هو "أبوبكر بن بنت ماري جاطه"، انظر: ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦ ص٢٦٧؛ القلقشندي: مصدر سابق، ج٥، ص٢٩٣؛ جوان جوزيف: الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء، ترجمة: مختار السويفي، دار الكتب الإسلامية ودار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، القاهرة، ط١، ١٩٨٤م، ص٧١-٧٢.

(٤) العبر، ج٦، ص٤١٤.

(٥) العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٤، ص١٢٠.

البنت وابن البنت"[١]، فيقصد مما قاله منسا موسى أن ظاهرة وراثة العرش هذه كانت قبل دخول الإسلام، وأن لهذه الظاهرة أصولًا ترجع إلى التقاليد الوثنية القديمة، وهذا ما يجعلنا نأخذ بحذر رواية القلقشندي أن التوريث لابن البنت وابن الأخت يعلي من شأن المرأة عند بعض القبائل السودانية.

وكان يترتب على نظام ولاية العهد الصراع على العرش والذي يؤدي إلى الانقسام بين أفراد الأسرة المالكة، لذلك كان حكام مالي يقومون بالتغلب على هذا الانقسام بتدريب ورثتهم الشرعيين على كيفية ممارسة السلطة في البلاد، وهذا ما فعله منسا موسى حينما قام بتعيين ابنه "مغا" نائبًا له، ثم بعد وفاته خلفه في الحكم باعتباره وريثًا للعرش، مما دفع عمه منسا سليمان للدخول في نزاع على الحكم، الأمر الذي يرجح أنه وجد نزاع بين الورثة على عرش مالي قبل عصر منسا موسى بل وبعد عصره، وبخاصة بعد عصر السلطان منسا سليمان، وقد أشار ابن بطوطة إلى ذلك أثناء زيارته إلى مالي[٢].

ويتضح مما سبق أن نظام ولاية العهد في مملكة مالي لم يبتدع، وإنما كان هناك تأثير وتأثر من الأنظمة الحاكمة في هذا العصر، حيث كانت تحتفظ كل مقاطعة باستقلال واسع، على الرغم من أن هناك ممالك تابعة، مثل: مملكة غانة، لم تكن مرتبطة بالسلطة المركزية برابطة هي أقرب إلى الولاء الرمزي، فكان المنسا هو رئيس الحكومة ومصدر السلطات، ومحاطًا بعدد كبير من الموظفين، وذوي المناصب الرفيعة والقواد[٣].

---

(١) صبح الأعشى، ج٥، ص٢٩٤.

(٢) تحفة النظار: ج٤، ص٦٨٨-٦٨٩؛ فيج. جي. دي: مرجع سابق، ص٦٠-٦١.

(٣) جبريل نياني: مرجع سابق، جـ٤، ص١٧٠.

**٢- الجهاز الإداري:**

**كان نظام الحكم في مملكة مالي قائمًا على المركزية؛ حيث كان حكام مالي يتمتعون بجميع السلطات وإليهم ترد الأمور المهمة في سياسة الدولة، ويساعدهم في عملهم عدد من الوزراء والقضاة والكتاب، وعلى الرغم من توفر عدد من الكُتاب لدى السلطان، إلا أنه كان "في الغالب لا يكتب شيئًا؛ بل أمره بالقول"(١).**

- **نائب السلطان:**

**وكان يُساعد منسا سليمان في إدارة حكومته المركزية بالعاصمة مستشارون وموظفون أهمهم: "نائب السلطان" ويقوم مقامه إذا غاب في تصريف شئون المملكة، ويُعرف باسم "قنجا"، مثل: "قنجا موسى" نائب منسا سليمان أثناء زيارة ابن بطوطة، وكان يُعد والي العاصمة(٢).**

- **الوزير:**

**كما كان هناك وظيفة الوزير، ويلقب باسم: "صندكي" Sandigui"، ويعرف أيضًا باسم: رئيس العبيد "ديون صندكي" (Dyon- Sandigui)، وكان للصندكي أهمية كبرى في حكومة مالي المركزية، فغالبًا ما ينفرد بالأمر والنهي ويستبد بجميع الأمور دون المنسا، وذلك إذا كان المنسا ضعيفًا أو صغير السن(٣).**

- **الحاجب:**

**وقد ظهرت هناك وظيفة لا تقل في الأهمية عن الوظائف الأخرى وهي وظيفة**

---

**(١)العمري: مصدر سابق، ج٢، ص٦١.**

**(٢) تحفة النظار، ج٤، ص٤٠٤.**

**(٣) ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٢٠٢؛ القلقشندي: مصدر سابق، ج٥، ص٢٩٧-٢٩٨.**

الشاعر أو الحاجب[١]، والذي يُعد الناطق باسم المنسا، وكان يتولى أيضًا تأديب الأمراء ويقوم بمهام رئيس التشريفات في البلاط، وكانت توجد وظيفة نائب عام هي بمثابة قائد القوات المسلحة، كما أشار ابن بطوطة إلى: "إن من أعوان المنسا المباشرين نائب عام لم تكن مهامه محدودة تمامًا فهو بمثابة قائد للقوات المسلحة"[٢]، وكان "السانتيجي" أمين الخزانة بمثابة وزير للمالية، وهو في الأصل أمين مخازن الغلال الملكية، ومع نمو مصادر الدخل أصبح أمين خزائن الذهب والثروات الأخرى من: عاج، ونحاس، وأحجار كريمة، وكان يمارس هذه الوظيفة في أول الأمر عبد من عبيد الملوك، والذين اعتمد عليهم حكام مالي في تدعيم سلطتهم فيما عُرفت بطبقة العبيد المحررين "البولا (Boula)"[٣].

- **ولاة الأقاليم:**

ولقد تطور نظام الإدارة في مملكة مالي نتيجة لاتساع حدودها؛ بالإضافة إلى حاجة المملكة إلى توفير مزيد من استتباب الأمن، وفرض هيبتها على بقاع شاسعة؛

---

(١) وظيفة الشاعر أو الحاجب كانت شخصية بالغة الأهمية، وقد أورد ابن بطوطة معلومات عن مهامه في بلاط المنسا سليمان يستفاد منها أنها كانت مهامًا وراثية، فهو الناطق باسم المنسا؛ لأنه كان يتحتم على المنسا أن يتكلم بصوت خافت فيردد الشاعر كلامه بصوت مرتفع، وكان دائمًا يختار شاعر المنسا من بين عشيرة كوباتي المنحدرة من "بالافيسكي" شاعر سنديانا، انظر: تحفة النظار، ج٤، ص٣٠٣-٣٠٥؛ جبريل نياني: مرجع سابق، ج٤، ص١٧٠-١٧١.

(٢) تحفة النظار، ج٤، ص٣٠٤؛ جبريل نياني: مرجع سابق، ج٤، ص١٧١..

(٣) لم يكن اعتماد سلاطين مالي على طبقة العبيد المحررين "البولا" أمرًا جديدًا في مملكة مالي، فقد سبقتها مملكة غانة في هذا التقليد، واشتهرت هذه الطبقة في غانة باسم طبقة " الكوسا " Koussa، كما اشتهرت منها أسر ذوات نفوذ كبير وثراء واسع، مثل: أسرة "تونكرا" Tounkara، انظر: ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٢٦٧؛ إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانة الإسلامية، ص٥٨؛ *Monteil, Charies: Op, Cit, p.57.*

حيث أصبحت تضم أربعة عشر إقليمًا[١]، منها كوكو (جاو)، وكابرا في الشرق[٢]، وغانة، وتكرور، وصنغانة في الغرب؛ وكان كل إقليم يضم عددًا من القرى والمدن[٣] وحكم هذه الأقاليم أربعة عشر نائبًا للملك يُسمى فاربا ( Farba )، ذكر ابن بطوطة بعضهم في عهد منسا سليمان، منهم: "فاربا حسين" نائب الملك على مدينة ولاتة، و"فاربا موسى" حاكم مدينة تنبكت، وفاربا مغا، وفاربا سليمان، كان كل فاربا ينوب عن الملك في الإقليم المكلف بالإشراف عليه، وكان من اختصاصاته قيادة الجيش والدفاع عن الإقليم الذي يحكمه نيابة عن الملك[٤]، وكان يساعد الفاربا كاتب ينفذ أوامره ويبدو من كلام ابن بطوطة أن هذا الكاتب غالبًا ما يكون فقيهًا عالمًا بشئون الإنشاء وقواعد الشريعة الإسلامية[٥]، وبجانب الفاربا، نجد المحاسب أو ما يعرف في الاصطلاح السوداني بـ"المنشاجو"[٦]، وهو المشرف على ضمان السير العادي للحركة التجارية[١].

---

(١) مسالك الأبصار، ج٤، ص٦٠؛

*Willard, Alice Louise: Rivers Of Gold, Oceans Of Sand: The Songhay In The West African World- System, Doctor Of Philosophy, The John Hopkins University, Mary Land, U.S.A, 1999, P. 348*

(٢) كابرا أو كابرة تقع على نهر السنغال ومنها ينحدر إلى زاغة، انظر: العمري: مصدر سابق، جـ٤، ص١٠٩؛ ابن بطوطة: مصدر سابق، ج٤، ص٦٨٠.

(٣) العمري: مصدر سابق، ج٤، ص٦٠؛ أحمد الشكري: مرجع سابق، ص١٩٠؛ عثمان برايما باري: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م، ص٤٠.

(٤) تحفة النظار، ج٤، ص٢٤٤- ٢٦٦- ٢٦٩- ٢٧٠.

(٥) المصدر السابق، ج٤، ص٤٣٣-٤٣٤؛ محمود كعت: مصدر سابق، ص٣٤-٣٥.

(٦) منشاجو: هو المسئول عن جمع الضرائب في مدينة إيوالاتن، وكان تحت إمرته عدد من المساعدين يعملون على جمع الضرائب من التجار، وكان إذا أخطأ منشاجو خطأ فكان عقابه ←←←

وكانت مملكة مالي المترامية الأطراف، بقبائلها المختلفة، وثرواتها الغنية ومواردها المتنوعة ومراكزها التجارية النشيطة، والتي بلغت أوج ازدهارها في عهد منسا سليمان، والذي استطاع إدارة وتنظيم شؤون المملكة، والتي بلغت مساحتها مربعة طولها أربعة أشهر وأزيد، وعرضها مثل ذلك، كما أخبر بذلك الشيخ عثمان سعيد الدكالي وهو ممن سكن عاصمة مالي، وتقلب في أرجاء المملكة مدة خمس وثلاثين سنة(٢).

ويمكن القول: بأن منسا سليمان وغيره من سلاطين مالي الأقوياء نجحوا في إدارة شئون المملكة وتنظيم جوانبها المتسعة، والذي يبرهن على قدرة السودانيين على تنظيم شئونهم وإدارة حكوماتهم، ولعل من أبرز الدلائل قدرة الأجهزة الإدارية المركزية والمحلية على ضبط الأمن وتنظيم الاستثمار(٣)، وقد أشار ابن بطوطة إلى: "أن الأمن كان منتشرًا في مملكة مالي حتى في الأماكن النائية، فلا يخاف المسافر منها، ولا المقيم سارقًا، ولا غاصبًا"، كما أن أموال الأجانب البيض المستقرين في مالي في مأمن من السرقة والنهب، وعبر بقوله: "ولا يتعرضون لمال من يموت ببلادهم من البيض، ولو كان من القناطير المقنطرة، فيتركونه بيد ثقة من البيض حتى يأتي مستحقه"(٤).

---

→→→

العزل من منصبه بأمر من السلطان، وذلك بعد أن يُصلح ما أفسده أو يرد الأشياء إلى أصحابها، انظر: ابن بطوطة: مصدر سابق، ج٤، ص٢٧١-٢٨٠.

(١) تحفة النظار، ج٢، ص٧٨٨-٧٩٦.

(٢) أحمد الشكري: مرجع سابق، ص١٩٠.

(٣) إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، ص١٢٨-١٢٩.

(٤) تحفة النظار، ج٤، ص٤٢١.

**٣- الجيش:**

**نظرًا لاتساع رقعة حدود مملكة مالي فقد تطلب ذلك حماية حدودها وفرض هيبتها، وبخاصة في عهد منسا سليمان؛ حيث كان له مجموعة من القواد العسكريين يستقرون معه في العاصمة، ويسهرون على تنفيذ أوامره المرسلة لحكام الأقاليم، وقد أطلق ابن بطوطة على أولئك القادة العسكريين القاطنين في العاصمة اسم: "الفرارية"(١).**

**واحتفظ جيش مالي بقوته في عهد منسا سليمان (٧٤١-٧٦١هـ/ ١٣٤١-١٣٦٠م)، الذي اهتم بتطوير الجيش وزيادة عدده؛ بدليل انتشار الجند في جميع أرجاء المملكة لبسط قوتها ونفوذها، وبلغ عدد هذا الجيش والذي قدره العمري بـ "مائة ألف من الفرسان والمشاة، منهم حوالي عشرة آلاف من الفرسان أو الخيالة، وباقي الجيش كان من المشاة أو" الرجالة الذين لا خيل لهم"(٢).**

**وانقسم جيش مالي إلى قسمين: قسم في الشمال: وعلى رأس قيادته قائد يطلق عليه "فَرنَ سُرَا"(٣)، وكان مقره في مدينة ديارا، بإقليم كانياجا، وقسم آخر في الجنوب: تحت قيادة قائد يطلق عليه "سَنْقَرَزَوْمَعَ"، وكان مقره في إقليم سانجاران(٤)، وكانت توجد حاميات في بعض المدن الكبرى أو المراكز التجارية المهمة(٥).**

---

**(١) تحفة النظار، ج٢، ص٧٨٢.**

**(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٤، ص٦٠-٦٦؛ القلقشندي: مصدر سابق، ج٥، ص٢٩٩.**

**(٣) يذكر طرخان أن قائد جيش الشمال يُطلق عليه "فَرنَ سُرَا"، وأنه قائد لجيش المسلمين، انظر: دولة مالي الإسلامية، ص١٣٣.**

**(٤) السعيدي: مصدر سابق، ص١٠؛ إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية ، ص١٣٣.**

**(٥) العمري: مصدر سابق، ج٤، ص٦٥؛ ابن بطوطة : مصدر سابق، ج٤، ص٢٨٦.**

ويتضح ذلك من حديث ابن بطوطة عندما زار أحد المناطق السودانية، وجد عند حاكمها في بيته خزانة بها عدد كبير من الأسلحة من رماح، وقسي، ودروع جيدة الصنع؛ ولهذا كان للجيش نظام حسن في التدريب والترقي(١)، ومن المرجح أن تقسيم الجيش له ما يبرره فجيش الشمال يتكون من المسلمين له عاداته، وأخلاقياته في السلم والحرب، وخطط مستمدة من تاريخ الإسلام، وجيش الجنوب وهو الذي يتألف عادة من قبائل لم تدخل في الإسلام بعد لها وضعها وأنماط حياتها(٢)، ولهذا كان الجيش ينقسم إلى عدة أقسام مهمة كل قسم يضم فرقًا تقوم بأدوار معينة تختلف وتتميز عن غيرها ومن أهمها:

- فاربا *Farba* :

كان كل فاربا ينوب عن الملك في الإقليم المكلف بالإشراف عليه، وكان يختص بقيادة الجيش والدفاع عن الإقليم الذي يحكمه نيابة عن الملك؛ لذلك كان المنسا يُعد بمثابة القائد الأعلى للجيش، وكثيرًا ما كان ينيب عنه قائدًا آخر يُسمى: فاربا(٣).

وكان أشهر من شغل هذا المنصب "فاربا حسين"، وكان ينوب عن الملك في مدينة ولاته(٤) في عهد منسا سليمان (٧٤١-٧٦١هـ/ ١٣٤١-١٣٦٠م)، ولم

---

(١) تحفة النظار، ج٤، ص٢٨٦.

(٢) فاي منصور علي: دولة مالي الإسلامية في عصرها الذهبي على عهد السلطان منسا موسى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٩٨٤م، ص١٣٠.

(٣) *L, Lugard, F Lady, Lugard, F: A Tropical Dependency Anoutline of the Ancient History of the Western Soudan With an account of Modern settlement, London, 1905., P.146.*

(٤) ولاته: تقع إلى الشمال الغربي من تنبكت، وهذه الكلمة تعني: الأراضي المرتفعة، كناية عن الطبيعة المرتفعة للمنطقة، وهى تتاخم غينيا جنوبًا، وتقابل صنهاجة شمالًا، وقد سماها الصنغي بير، وتسمى أيضًا ولاتن، كما سماها ابن بطوطه إيولاتن "ثم إلى مدينة إيولاتن... بعد شهرين ←←←

يعجب ابن بطوطة به بسبب غطرسته واحتقاره للبيض(١)، كما كان هناك " فاربا مغا" أي "فاربا محمد"، وهو نائب الملك في إحدى القرى الواقعة على نهر النيجر، وكان ضمن ركب منسا موسى، بينما كان فاربا موسى نائب الملك في مدينة تنبكت في عهد منسا سليمان، وكذلك فاربا سليمان نائب الملك على بلدة في الطريق بين تنبكت وكوكو (جاو)، ولم يذكر ابن بطوطة اسم هذه البلدة، وقد بلغ عدد من تولى منصب الفاربا حوالي أربعة عشر نائبًا للملك على الأقاليم المختلفة للملكة، وقد ذكرهم ابن بطوطه بعضهم في عهد منسا سليمان(٢)، وكان يساعد الفربا موظف آخر يلقب بـ "المكريف" **Macrif**، وهو مسئول أمام الفربا عن حفظ الأمن، فضلًا على أنه يساعد في جمع الضرائب(٣).

- **الفراري** ***Farari*:**

فراري (جمعها فرارية): مصطلح يشير إلى الأمراء وكبار قادة الجند في الجيش، وكان كل فراري تحت إمرته مجموعة من الجند المسلحين، وكانت مهمتهم تنظيم الجند، وتقسيمهم إلى فرق من المشاة والفرسان(٤)، ولم تشر المصادر إلى أسماء

---

→→→

كاملين من سجلماسة، انظر: تحفة النظار، ج٤، ص٦٨٧؛ مارمول كربخال: إفريقيا، ترجمة: محمد حجي، ومحمد زنيبر وآخرين، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، ١٩٨٩م، ص١٩٨؛ ما دهو بانيكار: الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غربي إفريقيا، ترجمة: أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٦٩.

(١) تحفة النظار، ج٤، ص٣٨٥.

(٢) تحفة النظار، ج٤، ص٢٤٤-٢٦٦-٢٦٩-٢٧٠.

(٣) إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، ص١٣١؛

*Spiz, G: LOuest African Francais, Paris, 1947, p.63.*

(٤) كانت طبقة الفرسان مكونة من "التون- تيغي" أو "الرماة"، وكانوا مسلحين بالإضافة إلى الكنانة والقوس برماح طويلة وسيوف، ويخضعون مباشرة لأوامر المنسا، بينما يخضع المشاة ←←←

خاصة ممن تولى هذا المنصب رغم تأكيدها على وجوده في عهدي منسا موسى ومنسا سليمان[١].

وكان هؤلاء الفرارية يتمتعون بمكانة متميزة في عهد منسا سليمان، وظهر ذلك جليًا من خلال ما أورده ابن بطوطة حول مكانتهم عند جلوس المنسا في قصره؛ حيث أشار إلى جلوس كبار قادة الجند الفرارية خارج المشور في شارع متسع، وتحت يده مجموعة من الجنود مسلحة بالرماح والأقواس والطبول والأبواق[٢] التي كانوا يضربون عليها فتحدث صوتًا عجيبًا، وكان كل فراري يمسك قوسه بيده وهو راكب فرسه[٣].

وهذا الأمر يشير إلى مكانة الفرارية وقربهم من الملك الذي كان يرغب في بيان قوته من خلال إظهار قوة جيشه، ويرجح أن ضرب الأبواق يعبر عن استعداد الجيش للحرب، ولعل ما يؤكد هذا أن الملك نفسه كان يخرج من باب في ركن القصر ممسكًا قوسه بيده، وخلفه نحو ثلاثمائة من العبيد أصحاب السلاح يرافقونه حتى يصل

---

←←←

لأوامر طبقة صغار النبلاء، وكان سلاحهم الرماح أو السهام حسب المنطقة التي ينتمون إليها، انظر: جبريل .ت. نياني: مرجع سابق، ص١٧١.

(١) ابن بطوطة: مصدر سابق، ج٤، ص٢٥٦-٢٥٧.

(٢) الأبواق عُرفت عند ملوك مالي، وكانت تستخدم للتنبيه لركب الحج والاستعداد للرحيل، وغالبًا ما ما تتخذ من قرون الأبقار وأنياب الفيلة، ولكن استعمال الأبواق كان رسميًا أكثر منه شعبيًا، وقد وصف ابن بطوطة عندما شاهد كل فراري بين يديه الرماح والقسي والطبول والأبواق وبوقاتهم من أنياب الفيلة، ثم استخدمت فيما بعد للإعلان عن الحرب، انظر: العمري: مصدر سابق، ج٤، ص٤٤٦؛ تحفة النظار، ج٤، ص٢٥٧.

(٣) تحفة النظار، ج٤، ص٢٥٧.

للمشور ثم يجلس ويخرج ثلاثة من العبيد مسرعين يدعون النائب والفرارية للاجتماع بالملك(١).

وقد أفاض ابن بطوطة ( المتوفى عام ٧٧٩هـ/١٣٧٧م ) في حديثه عن تقريب المنسا سليمان لقادة الجند من الفرارية، والأمراء الذين أوكل إليهم قيادة جيش المملكة في كثيرٍ من الأحيان، وما منحه إياهم من امتيازات مادية واجتماعية(٢).

وبهذا يمكن القول بأن منسا سليمان استطاع بفضل تكوين هذا الجيش أن يستكمل سياسة أخيه منسا موسى في الفتوحات والتي أسهمت في توسيع حدود المملكة، ولذلك أشار ابن بطوطة الذي زار مالي في عهده إلى أن مدينتي كابره وزاغة كان سلطانيهما يذعنان بالولاء والطاعة لملك مالي(٣)، وأكد القلقشندي بقوله: "حافظ المنسا ــ يقصد منسا سليمان ــ على حدود المملكة كما تركها له أخوه موسى"(٤).

**٤- القضاء:**

نظام القضاء في مملكة مالي كان دقيقًا، وكان موضع عناية كبرى من السلطان(٥)، وهو أقرب ما يكون منقولًا عن الشرق الإسلامي، ولا سيما مصر، ووجد

---

(١) المصدر السابق، ج٤، ص٢٥٧.

(٢) تحفة النظار، ج٤، ص ٢٤٤.

(٣) ويلاحظ أن ابن بطوطة عند ما يذكر اسم حاكم إقليم كبر وإقليم زاغة، يطلق عليهما لقب سلطان بدلاً من فربا، كما كان يفعل عندما يتحدث عن بقية حكام الأقاليم والمدن السودانية الأخرى، انظر: تحفة النظار، ج٤، ص٢٥٠-٢٧٤.

(٤) صبح الأعشى، ج٥، ص٢٩٧.

(٥) وقد أشار العمري والقلقشندي وابن بطوطة إلى مجالس السلطان القضائية ومواكبه للنظر في المظالم، فهناك قضايا تستأنف للنظر أمام السلطان نفسه، وهذه ينظرها في مجالسه؛ وتنتهي ←←←

القضاة السود بجانب القضاة البيض، واحتل هؤلاء جميعًا مركزًا ساميًا في المجتمع، ويقيم القاضي الأعلى في العاصمة، ويُعد مستشارًا للسلطان، كما كان خطيب المسجد الجامع من مستشاري السلطان(١)، ومن يتولى هذا المنصب كان لابد أن تتوافر فيه عدة شروط، منها: النزاهة، والصدق، والأمانة، وحسن تدبير الرأي، والورع(٢).

وكان القضاة نوعين: الأول: قاضي العاصمة، وهو القاضي الأعلى، فهو بمثابة مستشار الملك، والنوع الثاني هم قضاة آخرون، وهم يمارسون مهمة القضاء خارج العاصمة، وكانت المدن الكبيرة، مثل: نياني العاصمة، وولاته، وغانة، وكوكو يتوفر فيها قاض وخطيب وعدد من الفقهاء، وكان القضاة يشرفون على الفصل في النزاعات التي تنشأ بين الناس، ويسهرون على تطبيق قواعد الشريعة الإسلامية سواء في الأمور الدينية أم الدنيوية(٣)؛ ولذلك فإن وجود قاض في بعض المدن السودانية مثل: ولاته في منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، يدل على مدى تطور الحالة الدينية والتجارية للمدينة(٤).

---

←←←

إليه الشكاوى والمظالم، فيفصل فيها بنفسه، ولا يكتب شيئًا في الغالب، بل يأمر بالقول بلسانه"، انظر: مسالك الأبصار، ج٢، ص٤٩٥؛ صبح الأعشى، ج٥، ص ٢٨٣؛ تحفة النظار، ج٤، ص٤١٤-٤١٦.

(١)إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، ص١٣١؛

*Lady. Lugard, F.L.S: Op, Cit, p.33.*

(٢) محمود كعت: مصدر سابق، ص٣٥.

(٣) أحمد الشكري: مرجع سابق، ص١٩٠.

(٤) *Histoire de I 'Islam is ation de L'Afriqua de L'Afrique de Locust, :Cuoq, J des original fin du ex l'esiècle, Paris Libraries orientalist Paul Geithner, 1984, p 92.*

وكان أصحاب هذه الوظائف الدينية، يتمتعون بقدر كبير واحترام عميق سواء من طرف المجتمع السوداني أم السلطة الحاكمة، مما يبين تعلق أهل مالي بالإسلام، وتطلع حكامهم لإعطاء مملكتهم صبغة إسلامية محضة(١).

والأمن الذي كان يعم البلاد وينعم به الناس أيام الرخاء والازدهار، كان يرجع إلى السياسة العادلة التي انتهجها حكام مملكة مالي؛ ولهذا يقول ابن خلدون . عن السلطان منسا موسى . : "كان رجلًا صالحًا وملكًا عظيمًا، له في العدل أخبار تؤثر عنه"(٢)، وتأكيدًا للعدل الذي اشتهر به حكام مملكة مالي كان السلطان منسا سليمان صاحب مقولة مؤثرة خاطب بها وزراءه ونوابه على الأقاليم؛ حيث قال: "إني بريء من الظلم، ومن ظلم منكم عاقبته، ومن علم بظالم ولم يعلمني به فذنوب ذلك الظالم في عنقه والله حسيبه وسائله"(٣)، ويظهر أن هذا السلوك العادل للحكام، هو الذي جعل الرعية شديدة التعلق والتذلل لملوكهم(٤).

وذكر ابن بطوطة أن ملوك مالي عادلون "ولا يسامح سلطانهم أحدًا في شيء"(٥)؛ ولذلك كان السلطان منسا سليمان" شديد الحرص على تجنب ظلم الرعية، ومما يؤثر عنه أنه عزل "منشاجو" من مدينة إيوالاتن" بعدما تأكد ظلمه لأحد التجار المسوفيين(٦).

---

(١) أحمد الشكري: مرجع سابق، ص١٩٠.

(٢) العبر، ج٦، ص٤١٥.

(٣) ابن بطوطة: مصدر سابق، ج٢، ص٧٨٨.

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص٧٨٤؛ أحمد الشكري: مرجع سابق، ص١٩١.

(٥) تحفة النظار، ج٤، ص٤١٤-٤١٦.

(٦) ابن بطوطة: مصدر سابق، ج٤، ص٢٧١-٢٨٠.

وقضية العدل في المجتمع السوداني سواء قبل إسلامه أم بعده، تُعد من القيم الاجتماعية التي أخبرت بها المصادر التاريخية، والذي عُرف عن سلاطين مالي أنهم كيف يحافظون عليها ويدعمونها بالقيم الإسلامية، ولعل ما حدث في قصة "منشاجو" بإيوالاتن" مع التاجر المسوفي "أبو حفص"[١]، وكيفية معالجة السلطان منسا سليمان للقضية، نموذجًا واضحًا على مدى تفاعل القيم الاجتماعية السودانية الأصيلة مع التعاليم الإسلامية[٢].

وكان سلاطين مالي يتابعون بأنفسهم نشاطات نوابهم وقضاتهم بحرص كبير، ويتبين لنا من خلال منع السلطان منسا سليمان لقاضي مدينة ولاته "محمد بن عبد الله بن يومر" من أداء فريضة الحج، وبهذا لم يكن بمقدور أحد من موظفي الدولة؛ أن يقدم على عمل من شأنه أن يترك فراغًا سياسيًا أو دينيًا في إقليم ما دون استئذان من السلطان[٣].

إن حرص سلاطين مملكة مالي على السلوك العادل في حكم رعيتهم يبرر إلى حد بعيد حالة الأمن والاستقرار التي شملت جميع أنحاء المملكة، وكان ابن بطوطة شاهدًا حيًا على هذه الحالة، والتي أثارت انتباهه أثناء سفره من مدينة ولاته إلى عاصمة المملكة[٤]؛ فكتب يقول: "ولما عزمت على السفر إلى مالي (العاصمة) وبينها

---

(١)عندما اشتكى التاجر المسوفي أبو حفص من الظلم الذي لحقه، استدعى المنشاجو للمثول أمام السلطان، ولم يبادر منسا سليمان بالبت في القضية، وإنما عرضها على أحد قضاته، وبناء على حكم القاضي، قرر عزل المنشاجو، انظر: ابن بطوطة: مصدر سابق، ج٤، ص٢٧١-٢٨٠؛ أحمد الشكري: مرجع سابق، ص١٩١.

(٢) أحمد الشكري: مرجع سابق، ص١٩١.

(٣) ابن بطوطة: مصدر سابق، ج٢، ص٧٧٧.

(٤) أحمد الشكري: مرجع سابق، ص١٩١.

وبينها وبين إيوالاتن مسيرة أربع وعشرين يومًا للمُجِدّ، اشتريت دليلًا من مسوفة، إذ لا حاجة إلى السفر في رفقة لأمن تلك الطريق، وخرجت في ثلاثة من أصحابي"(١)، وهذا يدل على استتباب الأمن في عهد سلاطين مالي وخاصة في عهد السلطان منسا سليمان.

ومن الدلائل التي تؤكد مدى المكانة التي حظي بها القضاة لدى ملوك مالي بل عند العامة والخاصة، أن بيت القاضي(٢) كان ملجأ للفقراء من بطش الحكام، وذلك إذا تعرضوا لظلم من جانب السلطة الحاكمة، وهذا ما حدث في عهد منسا سليمان (٧٤١-٧٦١هـ/ ١٣٤١-١٣٦٠م)، عندما أراد معاقبة زوجته التي تآمرت ضده، فخافت على نفسها ولجأت إلى بيت القاضي، فتركها احترامًا له ولم يتعرض لها بأذى(٣)، هكذا كانت نظرة أفراد الطبقة الحاكمة للقضاة، والتي أسهمت في علو مكانة العلماء والقضاة، الأمر الذي جعلهم يؤدون دورهم المنوط بهم على خير وجه في كثير من الأحيان دون خشية السلطان الذي منحهم صلاحيات واسعة فجاءت مجهوداتهم في تصحيح مسار المجتمع انعكاسًا لتلك النظرة وانعكاسًا لنظرة المجتمع عامة للقضاة(٤).

واستمر اهتمام سلاطين مملكة مالي بالقضاة وخير مثال على ذلك، أن القاضي في عهد منسا سليمان كان في مقدمة من يحضرون جلساته، ولم يكن يصافح أحدًا

---

(١) ابن بطوطة: مصدر سابق، ج٢، ص٧٧٨.

(٢) القاضي: هو من يتولى فصل الأمور بين المتداعين في الأحكام الشرعية، وهي وظيفة قديمة كانت في زمن النبي (ﷺ)، وكان يُلقب في بلاد السودان الغربي بـ "أنفارقم"، انظر: القلقشندي: مصدر سابق، ج٥، ص٤٥١؛ محمود كعت: مصدر سابق، ص٣٥.

(٣) ابن بطوطة: مصدر سابق، ج٤، ص٦٧١.

(٤) إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، ص١٣١.

بيده إلا القاضي[١]، وكان ظهور القضاة في مجلس السلطان بمظهر كريم؛ حيث يلبسون الثياب البيض وفي هذا تكريم واضح للقضاة[٢].

ومن أبرز القضاة في عهده الفقيه عبد الرحمن (كان حيا في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي)، تولى القضاء في العاصمة نياني أيام منسا سليمان (٧٤١-٧٦١هـ/ ١٣٤١-١٣٦٠م)، وقد لقيه ابن بطوطة وأثنى عليه ووصفه بالفضل ومكارم الأخلاق وأنه استضافه أثناء وجوده في مالي، ويرجح أنه من السودان، فقال: " ولقيت القاضي عبد الرحمن بمالي وجاءني من السودان"[٣].

ويلاحظ أن عدد العلماء والفقهاء السودانيين في عهد مملكة مالي كان قليلًا جدًا، مما يعني أن بلاد السودان الغربي على عهد مملكة مالي كانت لا تزال تعيش مرحلة الاستيعاب والتكوين، الأمر الذي يوضح أن جل قضاة مملكة مالي كانوا غير سودانيين[٤]، إلا أن حكام مملكة مالي كانوا متطلعين لإعطاء مملكتهم طابعًا إسلاميًا الشيء الذي يفسر اجتهادهم في جلب عدد آخر من البلاد الإسلامية، بهدف الاستعانة بهم في تسيير دواليب الحكم، وبصفة خاصة القضاة، والاستفادة من علمهم في تعليم وتكوين الناشئة والطلبة السودانيين[٥]، ويتبين ذلك من خلال وصف

---

(١) محمود كعت: مصدر سابق، ص٣٥.

(٢) ابن بطوطة: مصدر سابق،ج٤، ص٦٧٠؛ القلقشندي: مصدر سابق، ج٥، ص٤٥١.

(٣) تحفة النظار، ج٤، ص٧٨١؛ وكانت زيارة ابن بطوطه لمالي في أول سنة (٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م)، ولم يذكر ابن بطوطة الاسم بالكامل لهذا القاضي الذي وصفه بالفضل ومكارم الأخلاق، انظر: أبو بكر إسماعيل ميقا: نظام القضاء في دولة سنغاي الإسلامية في عهد ملوك آل آسكيا، مجلة الدارة، الرياض- المملكة العربية السعودية، ع٢، ١٩٩٣م، ص٢٩١.

(٤) ابن بطوطة: مصدر سابق، ج٤، ص٦٧١؛ أحمد الشكري: مرجع سابق، ص٢١٩.

(٥) *Cuoq, Joseph:, Op, Cit, p. 192.*

ابن بطوطة لأحوال العاصمة "نياني"، أن بلاط السلطان منسا سليمان كان يعج بالفقهاء خاصة منهم المغاربة[١].

## ٥- عادات البلاط الملكي وتقاليده:

فقد أمدنا ابن بطوطة خلال رحلته لمملكة مالي بمعلومات وافية عن عادات البلاط الملكي وتقاليده، حيث وصف تعظيم أهل السودان لملوكهم ودخولهم على السلطان[٢]، فكان من عادتهم أن لا يدخل أحد كائنا من كان قصر السلطان لأي أمر، إلا بعد خلع نعليه وإلا قتل بلا عفو، عامدًا أو ساهيًا، كما يقول القلقشندي: "والتحية التي يؤديها للسلطان كانت معقدة، فعلى الداخل أن يقف فترة أمام السلطان، ثم يرفع يده اليمنى حتى تصل إلى قرب أذنه، بعد أن يكشف رأسه، ثم يركع، وتكون يده

(١) تحفة النظار، ج٢، ص٧٨١؛ وكان من أبرز العلماء، المهندس المعماري الأندلسي: أبو إسحاق الساحلي، خرج من الأندلس في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي تجاه الشرق لتأدية فريضة الحج، وقد التقى خلالها بسلطان مملكة مالي منسا موسى (٧١٢-٧٣٨هـ/ ١٣١٢-١٣٣٧م)، والذي دعاه إلى بلاده فقبل دعوته ليشارك في النهضة العمرانية هناك وذاع صيته في السودان الغربي، لما أدخله من نظم معمارية، وظل هناك حتى وفاته في مدينة تنبكت ودفن فيها، وكان ذلك تحت حكم السلطان منسا سليمان (٧٤١-٧٦١هـ/ ١٣٤١-١٣٦٠م)؛ انظر: ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٢٠٣؛ الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٥، ج٣، ص١٥٢-١٥٣؛ خالد بن علي النجمي: المعماري الأندلسي أبو إسحاق الساحلي (ت ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م) أثره العمراني وامتداده الأسري في السودان الغربي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع٦٦، ٢٠٢٢م، ص٢٤٥-٢٤٦.

(٢) تحفة النظار، ج٤، ص٤٠٨.

اليسرى مبسوطة فوق فخذه وتحت مرفق يده اليمنى، وتشبه هذه التحية ما عُرف عند المغول باسم "ضرب الجوك"[١].

فعند مقابلة الملك تُعد عادة التتريب تقليدًا وعادة متأصلة لدى أهل مالي، وتمارس هذه العادة في حضور السلطان، فإذا مثل أحد الرعايا أمام السلطان عند جلوسه بالقبة، جرت العادة أن يقذف التراب على رأسه مرتين أو ثلاث مرات، ثم يقف الشخص كالراكع عند سماعه للملك، فإذا رد عليه هذا الأخير، يعمد المنعم عليه بكشف ثيابه عن ظهره، راميًا التراب على رأسه وظهره كالمغتسل بالماء، يقول ابن بطوطه في وصف هذا المظهر: "كما يفعل المغتسل بالماء، وكنت أعجب منهم كيف لا تعمى أعينهم"[٢]، ويعد ذلك نوعًا من الأدب عندهم، وقد حدث ذلك عندما أرسل منسا سليمان وفدًا إلى السلطان أبي الحسن المريني، فمارسوا عادة التتريب في حضرة سلطان المغرب[٣].

ومن عادة أهل مالي منع العطس بحضرة السلطان لأنه اعتبر تقليدًا ممنوعًا، فإذا عطس أحد يضرب ضربًا شديدًا، ولا يستثنى أحد من ذلك مهما كانت مكانته، فإذا شعر أحد بحاجة للعطس يقوم بالانبطاح حتى لا يعلم به أحد، وفي حال إذا عطس الملك فيقوم الحاضرون بضرب صدروهم بأيديهم، كما أخبر بذلك العمري[٤].

أما فيما يخص تقاليد البلاط الملكي فقد وصف لنا ابن بطوطة كيفية جلوس السلطان داخل قصره؛ الذي يحتوي على قبة مرتفعة يوجد بابها داخل داره، يقعد بها

---

(١) صبح الأعشى، ج٥، ص٣٠٠-٣٠١.

(٢) تحفة النظار، ج٤، ص٤٠٨.

(٣) ابن بطوطة: مصدر سابق، ج٤، ص٤٠٩.

(٤) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٢، ص٤٩٨.

أكثر الاوقات ولها من جهة المشور[١] طيقان ثلاثة من الخشب، مغشاة بصفائح الفضة، وتحتها ثلاثة مغطاة بصفائح الذهب، ملفوفة بستائر ويكون رفع هذه الستائر عليها يوم جلوسه بالقبة، فإذا جلس أخرج من شباك أحد الطيقان منديل مصري مربوط في شرابة من حرير، وبمجرد رؤية الناس لهذا المنديل يقومون بضرب الطبول ونفخ الأبواق المصنوعة من أنياب الفيلة[٢]، ثم يخرج من باب القصر نحو ثلاثمائة من العبيد في أيديهم بعض القسي، ويحمل البعض الآخر الرماح الصغيرة والدرق، فيقف أصحاب الرماح على يمينه ويساره، ويجلس أصحاب القسي، كما يجلب فرسين مسرجين ملجمين ومعهما كبشان، وكان الهدف من وراء ذلك درء العين والحسد[٣].

وفيما يخص جلوس السلطان بالمشور، فكان يخرج ثلاثة من عبيده مسرعين، فيدعون نائبه "قنجا موسى" نائب السلطان منسا سليمان، ويأتي الأمراء والخطيب والفقهاء فيقعدون أمام السلحدارية، على يمين ويسار المشور، ويقف الترجمان على باب المشور، وعليه الثياب الفاخرة وعلى رأسه عمامة متقلدًا سيفًا غمده من ذهب وفي رجليه الخف ولا يلبس أحد ذلك اليوم خفًا غيره، ويكون في يده رمحان صغيران أحدهما من ذهب والآخر من فضة وسنانهما من الحديد[٤].

أما خارج المشور فيجلس الجنود والولاة والفتيان وغيرهم في شارع متسع فيه أشجار، وكل فراري (أمير) بين يديه أصحابه بالرماح والقسي والأطبال والأبواق، وكل

---

(١) المشور: هو فناء خارج القصر وباب القصر داخله؛ أي أن الداخل إلى القصر يمر أولًا بالمشور، انظر: مطير سعد غيث: مرجع سابق، ص٨٢.

(٢) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٣م، ص١٠٥.

(٣) تحفة النظار، ج٤، ص٦٩٦-٦٩٧؛ إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، ص١٦٠.

(٤) تحفة النظار، ج٤، ص٦٩٦-٦٩٧؛ إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، ص١٦٠.

فراري له كنانة وقوسه بيده، وهو يركب فرسه وأصحابه بين مشاة وركبان، ويكون بداخل المشور تحت الطيقان رجل واقف؛ فمن أراد أن يكلم السلطان كلم الترجمان، ويكلم الترجمان ذلك الواقف، وبدوره يكلم الواقف السلطان[١]، فكان جلوسه بالمشور للاستماع لمطالب الرعية ومشاكلهم، وذلك بعد صلاة الجمعة[٢].

ويمكن القول بأن عادات البلاط الملكي وتقاليده متأثرة بالعادات المتأصلة في المجتمع، فعلى الرغم من أن الإسلام استطاع القضاء على بعض العادات والطقوس الوثنية السيئة، مثل عادة التتريب والتي تمثل إحدى صور الخضوع التام، وتفقد المرء كرامته في سبيل إرضاء السلطان، واقتصرت على تحية الملك على التصفيق[٣]، الأمر الذي يدل على الامتزاج بين التقاليد الإسلامية، وتقاليد المجتمع القديمة.

## ٦- مشاركة المرأة في الحكم:

قد جرت العادة عند ملوك مالي أن تشارك الزوجة زوجها في الحكم وكانت تلقب في لغة الماندي باسم "قاسا"، ومعناها: الملكة، أو الزوجة الكبرى[٤]، مثلما حدث مع منسا سليمان (٧٤١-٧٦١هـ/ ١٣٤١-١٣٦٠م)، فقد كانت زوجته قاسا شريكته في الحكم، وعبر عن ذلك ابن بطوطة بقوله: "غضب السلطان على زوجته الكبرى بنت عمه المدعوة بـ "قاسا"، ومعنى قاسا: الملكة، وهى شريكته في الملك على عادة السودان، ويذكر اسمها مع اسمه على المنبر"[٥]، وهذا يدل على علو شأن المرأة

---

(١) ابن بطوطة: مصدر سابق، ج٤، ص٦٩٧.

(٢)عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق أفريقيا جنوب الصحراء، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٨م، ص٢٨١.

(٣) مطير سعد غيث: مرجع سابق، ص٢١١.

(٤) المرجع السابق، ص٨٠-٨١.

(٥) تحفة النظار، ج٤، ص٦٨٨-٦٨٩.

ومكانتها، وذلك بمشاركتها للسلطان في الحكم، وذكر اسمها مع اسم السلطان على المنبر سمو في المكانة[١]، ويضيف بانيكار: "بأن العادة جرت بتتويج الملك مع الملكة التي تشاركه السلطة"[٢]، مما يعكس الدور الفعال الذي شاركت به المرأة في الحياة السياسية في مملكة مالي[٣].

ولما كان من المألوف وجود أكثر من زوجة للملك، فقد تتعرض قاسا لسبب ما إلى الإبعاد والعقاب يصل أحيانًا إلى السجن، فتختار الزوجة الأخرى لتكون الملكة أو الزوجة الكبرى، كما حدث بصدد زوجة منسا سليمان حين كشف أمر اشتراكها في مؤامرة ضده[٤]، وكادت تسجن لولا استجارتها ببيت الخطيب فأجارها وعفا عنها هذا المنسا[٥].

---

(١) يتضح من هذا أن سكان تلك البلاد وهم مسلمون، كان نساؤهم قبل أكثر من ستمائة سنة يشاركن في الوظائف العامة، وكانت زوجة السلطان تشارك زوجها مسئوليات الحكم ومظاهره، ويذكر الإمام اسمها في المسجد ويدعو لها، كما يذكر اسم السلطان ويدعو له أمام المصلين، انظر: محمود الشرقاوي: رحلة ابن بطوطة من طنجة إلى الصين والأندلس وإفريقيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٣٨٢.

(٢)بانيكار. ك. مادهو: مرجع سابق، ص٤٥.

*(3)Bell, N, M: The Age of Mansa Musa of Mali (I.J.A.H.S) Vol.5.No.2.1972.P.230.*

(٤) دبرت قاسا زوجة منسا سليمان (٧٤١-٧٦١هـ/ ١٣٤١-١٣٦٠م)، مؤامرة ضده؛ حيث أرسلت إحدى جواريها إلى جاطل ابن أخ السلطان منسا سليمان، وقد هرب خوفًا من عمه واستدعته ليخلع الملك وأرسلت له قائلة: "أنا وجميع العساكر طوع أمرك"، انظر: ابن بطوطة: مصدر سابق، ج٤، ص٢٦٣-٢٦٤؛

*Nehmia, Levtzion: The Thirteenth and Fourteenth Century Kings of Mali, The Journal of African History, Vol. 4, No. 3, 1963., P. 349.*

(٥) ابن بطوطة: مصدر سابق، ج٤، ص٢٦٣-٢٦٤.

## رابعاً: الجوانب الحضارية في عهد منسا سليمان:

اتجه منسا سليمان إلى الاهتمام بمملكة مالي داخليًا؛ فعني بإقامة المساجد ونشر شعائر الإسلام، وعبر القلقشندي بقوله: "وبنى المساجد والجوامع والمنارات وأقام الجمع والجماعات والأذان وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك"(١)؛ لذلك أثر عنه تفقهه في الدين(٢).

وقد اشتهر المسلمون في مالي بالمحافظة على أداء صلاة الجماعة في أوقاتها، وخلال رحلة ابن بطوطة شاهد حرص منسا سليمان على حضور صلاة الجماعة والعيدين، كما كان شديد الاهتمام بحفظ القرآن الكريم، ويعاقب الأطفال الذين يقصرون في ذلك"(٣).

وقد وجدت الكثير من المدارس في جميع المدن المشهورة بجوار المساجد، مثل: مدارس زاغة، ولهذا يقول ابن بطوطة عن أهل هذه المدينة: إنهم: "قدماء في الإسلام ولهم ديانة وطلب علم"(٤).

وقد وصف ابن بطوطة أثناء زيارته لمملكة مالي في عهد منسا سليمان سنة (٧٥٣-٧٥٤هـ) مدى انتشار العلم والثقافة الإسلامية، والعدل والأمن في كل أرجاء السودان الغربي(٥).

---

(١) صبح الأعشى، ج٥، ص٢٩٧؛ انظر: تحفة النظار، ج٤، ص٢٥٠.

*(2)Niane, Djeibil Tamsir: Mise Enplace des Populations, de la haute guinee In Revueethiopique, (No2, Avril),1960, P.47.*

(٣) إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، ص١٥٠.

(٤) تحفة النظار، ج٤، ص٣٩٥؛ إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، ص١٥٣.

(٥) تحفة النظار، ج٤، ص٤٥٠؛ أبو بكر إسماعيل محمد ميقا: تاريخ الثقافة الإسلامية والتعليم في في السودان الغربي (إفريقيا الغربية) من القرن الرابع الهجري حتى مطلع القرن الثالث عشر، مجلة الدارة، دارة الملك عبد العزيز، مج١٩، ع٢، ١٩٩٣م، ص٢٢٥.

## خامساً: العلاقات السياسية في عهد منسا سليمان:

كان التوسع العظيم الذي شهدته مملكة مالي في عهد منسا سليمان، قد أسهم بشكل كبير في علاقاتها مع الممالك والدول السودانية المجاورة، كما امتدت هذه العلاقات إلى مصر وبلاد المغرب.

### ١- العلاقات مع الممالك والدول السودانية المجاورة:

كانت علاقة مملكة مالي بالممالك، والدول السودانية المجاورة تجارية؛ تقوم على تبادل المنفعة، ولكن وجدت العلاقات السياسية والحربية، وأساسها مطامع مملكة مالي في التوسع الحربي على حساب جيرانها، ونشر الدين الإسلامي بين الوثنيين؛ ولذلك بدأت مالي بالصدام مع مملكة الصوصو الوثنية، ونجحت في هزيمتها وضمت أملاكها، كما ضمت ما تبقى من أملاك مملكة غانة(١).

أما مملكة صنغي فقد مرت علاقاتها بمالي بمنعطفات تاريخية، فكانت زمن ازدهار مالي دويلة صغيرة خاضعة لها، حتى إذا قويت تدريجيًا، حدث أول صدام لها مع مالي، بعد وفاة السلطان منسا موسى(٢) عام (٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م)؛ حيث بدأت صنغي تشق عصا الطاعة على ملوك مالي؛ حتى تحررت نهائيًّا، وبدأت في بناء قوتها العسكرية، وهزمت مالي وضمت معظم أملاكها(٣).

ولم تكن علاقات مالي مع الكيانات السياسية في السودان الغربي دائمًا ودية، فقد عانت كثيرًا من هجمات الطوارق الذين تمكنوا من الاستيلاء على مدينة تنبكت،

---

(١) إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، ص١٦٦.

(٢) أحمد بابير الأرواني: جواهر الحسان في أخبار السودان، مخطوطة محفوظة بمعهد البحوث في العلوم الإنسانية، جامعة نيامي، النيجر، تحت رقم ١٠٦، ورقة ٣- ب.

(٣) محمود كعت: مصدر سابق، ص١٨٨.

وسيطروا عليها حتى عام (٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)[١]، ولم تنجح مالي في استردادها منهم حتى تمكنت مملكة صنغي من القضاء عليهم وإبادتهم[٢].

وأما قبائل الموشى الوثنية فلم يقلوا خطرًا عن الطوارق على مملكة مالي، فبسبب وثنيتهم قاوموا جميع الدول والممالك الإسلامية السودانية المجاورة، وفي أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي؛ بدأ خطر الفولانيين على مالي[٣]، وعلى الرغم من أن هذا الصراع المستمر والمتقطع لم يحُلْ دون التقارب التجاري حتى مع البلاد الوثنية جنوب مالي، وقد عبر ابن بطوطة بقوله: "وقد وصلت متاجر مالي إلى إمبراطورية البرنو الإسلامية"[٤].

## ٢: العلاقات مع مصر وبلاد المغرب:

ولعل من العلاقات التجارية والثقافية والسياسية المهمة، ما قامت بين مملكة مالي ودول المغرب ومصر، فعلاقة مصر ببلاد السودان الغربي قديمة ترجع إلى ما قبل الميلاد ببضعة قرون، حتى إن الكثير من النباتات والحيوانات والصناعات، وصلت من مصر إلى جميع بلاد السودان الغربي بما فيها مالي[٥]، يقول جونستون Johnston: " إن أول تيارات الحضارة وصل من مصر إلى جميع بلاد إفريقيا

---

(١) كانت مدينة تنبكت تحت حكم الطوارق، وكان أكيل أكملول ذلك الأمير الذي كان ينتمي إلى الملثمين من مسوفة حاكمًا لها، ومنذ ذلك الوقت كان الطوارق حكام تنبكت حتى عام (٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، انظر: الحسن الوزان: مصدر سابق، ج ٢، ص٥٣٩؛ السعيدي: مصدر سابق، ص ٦٥.

(٢) السعيدي: مصدر سابق، ص١٤-١٥؛ إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، ص١٦٧.

(٣) إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، ص١٦٧.

(٤) تحفة النظار، ج٤، ص٤٤١.

(٥) إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، ص١٦٨.

السوداء جنوبي الصحراء الكبرى، من ذلك بناء القوارب واستعمال اللبن في البناء، وهو مرحلة متقدمة، والأسلحة الحديدية من دروع ورماح وبلط وقسى"، ويضيف جونستون: "إن قبائل التيبو أو التدا" "Tibu or Ted" هي التي أدخلت الصناعات الحديدية والأسلحة إلى إفريقيا الزنجية، نقلًا عن مصر"(١).

فإذا كانت هذه الصلة مع مصر، ترجع إلى أقدم العصور، فليس من شك في أنها ازدادت منذ العصر الإسلامي، ولا سيما أن مصر كانت من بين المنابع التي جاء منها الإسلام إلى غرب إفريقيا، فضلًا على أنها في طريق الحج(٢)؛ وذلك لأن الأراضي المقدسة الإسلامية كانت تحت نفوذ سلاطين مصر، فضلًا على أنها كانت مركزًا للخلافة الإسلامية(٣).

---

*(1)Johnston, H,H: A History of the Colonization of Africa by Allien Races, Cambr, 1931, p.p.15-20.*

(٢) كان حجاج مالي وغيرها من الملوك والرعايا المسلمين يمرون بمصر في طريق سفرهم وعودتهم من الحج، وكانوا يلقون التكريم والترحيب والعون من أولي الأمر فيها، ومن ملوك مالي الذين مروا بمصر خلال حجهم، "برمندانة، ومنسا ولي بن ماري جاطه الأول"، "وساكوره"، ثم "منسا موسى"، وذكر المقريزي أن من ملوك مالي الذين حجوا وزاروا مصر السلطان منسا سليمان الذي خرج لأداء فريضة الحج في عام (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م)، على رأس جمع غفير من حجاج بلاد السودان الغربي، فقد طلب من سلطان مصر المملوكي إعفاءه من ضريبة المرور فأعفاه وقومه"، انظر: السلوك في معرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٧١م، ج٢، ص٨٥٥؛ دريد عبد القادر نوري: دور الحج في ربط السودان الغربي بالوطن العربي بعد القرن الخامس الهجري، رسالة الخليج العربي، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٣م، ع٩، ص٢٥٦-٢٥٧؛ كما أن بعض المراجع قد تحدثت عن حج منسا سليمان عام (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م)، ولكن لم تكن هناك أية رواية أو شهادة مصدرية تتحدث عن حج منسا سليمان بخلاف ما ذكره المقريزي، انظر: بوفيل: مرجع سابق، ص١٢٣.

(٣) إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، ص١٦٦.

وفيما يتعلق بالعلاقات السياسية مع بلاد المغرب، فقد بدأت بين حكام مملكة مالي والمرينيين[١]، وخاصة في عهد السلطان "أبي الحسن علي بن عثمان المريني (٧٣١-٧٥٢هـ/ ١٣٣١-١٣٥١م)[٢]، حيث اتسمت هذه الفترة بالتواصل

---

(١) كان المؤسس الفعلي للدولة المرينية هو الأمير "أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦-٦٨٥هـ/ ١٢٥٨-١٢٨٦م)، بدأ عهده بمواجهة بعض المشاكل التي اعترضت المرينيين في هذه الفترة، ودخل في عدة معارك مع الموحدين تمهيدًا لدخول العاصمة مراكش، وفي عام (٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م) كانت المعركة الأخيرة بين الموحدين والمرينيين عند وادي "غفو"، انتهت بهزيمة الموحدين، وسقوط دولتهم وقيام دولة بني مرين عام (٦٦٨-٨٦٩هـ/ ١٢٦٩-١٤٦٥م)، وظلت دولة بني مرين في اتساعها ودعم استقرارها مدة خمس وسبعين سنة من سنة (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) إلى سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٩م)، وحكمها خلال هذه الفترة مجموعة من السلاطين الأقوياء، عملوا على تقوية الدولة وتطورها، انظر: ابن خلدون: مصدر سابق، ج٧، ص٢٤١؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٩٩٩م، ص٤٦٩؛ مصطفى اللمطي: ملوك المغرب وعلاقتهم بشبه الجزيرة الأيبيرية، مطبعة بنجلون، فاس، ط١، ٢٠١٠م، ص٧٦؛ شارل أندريه جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٣م، ج٢، ص٢١٩؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص٧٨٤.

(٢) أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، المنصور بالله، عُرف عند العامة بالسلطان الأكحل لسمرته، وكون أمه حبشية، تولى الحكم سنة (٧٣١هـ/ ١٣٣١م)، وكان أوسع بني مرين ملكًا وأكثرهم آثارًا بالمغربين الأوسط والأقصى والأندلس، واستنجد به بنو الأحمر حكام غرناطة عندما احتل الإفرنج جبل طارق، فأرسل الجيوش واستعاد الجبل، توفي سنة (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م)، انظر: ابن الأحمر: النفحة النسرينية واللمحة المرينية، دار سعد الدين، دمشق، ١٩٩٢م، ص٤٧-٤٩؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م، القسم الثاني، ص٤٦١- ←←←

الدبلوماسي مع مالي، وبدأت بالتقرب بين السلطان منسا موسى والسلطان "أبي الحسن المريني"؛ حيث إن الأخير عمل على كسب مودة وصداقة السلطان منسا موسى، ولذلك فإنه فيما بين سنة (٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م، و٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م) تبودلت السفارات والهدايا بين البلدين(١)، إلا أن ابن خلدون لم يسجل إلا سفارة واحدة بينهما، وفدت على أبي الحسن لتهنئته بمناسبة فتحه لتلمسان عاصمة بني عبد الواد سنة (٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م)(٢)، وكانت هذه السفارة المالية برئاسة شخص يُدعى "فرافقيس"، ومعهم ترجمان من الملثمين من قبيلة صنهاجة المجاورين لمالي(٣).

وقد استقبل السلطان أبو الحسن المريني سفارة مملكة مالي أحسن استقبال وأكرم وفادتها، ويذكر ابن خلدون أنه خلال وفادة السفارة المالية بفاس وصل خبر وفاة السلطان " منسا موسى" (٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م)(٤)، ثم أمر السلطان "أبو الحسن المريني" بتجهيز سفارة مرينية وهدايا فاخرة يقول ابن خلدون: "فأتحف طرفًا من متاع

---

→→→

٤٦٢؛ لسان الدين ابن الخطيب: شرح رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، ١٨٩٨م، ص٢٧٣.

(١) إن علاقات المرينيين وسلاطين مالي جاءت استمرارًا ومتابعة وتتويجًا لعلاقات تجارية وعلمية قديمة ومتقدمة بين المجالين، وهذا ما يفسر حفاوة الطرفين لإقامة صلات دبلوماسية رسمية بينهما، انظر: محمد عبد الكريم شكيران: السفارات الدبلوماسية بين دولة بني مرين ومملكة مالي (٧٣٧-٧٦٢هـ/ ١٣٣٦-١٣٦٠م)، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، مج٤٩، ٢٠١٥، ص٨٧- ٩٣.

(٢) العبر، ج٧، ص٥٣٢-٥٥٤.

(٣) محمد عبد الكريم شكيران: مرجع سابق، ص٩٤.

(٤) العبر، ج٧، ص٣٥٣؛ أحمد الشكري: مرجع سابق، ص٢٧٤.

المغرب وماعونة من ذخيرة داره وأسناها"[١]، وأرسلها ردًا على السفارة المالية إلى السلطان منسا سليمان الذي تولى الحكم سنة ( ٧٤١هـ/١٣٤١م )، وكان من أعضاء الوفد الدبلوماسي المريني كاتب الديوان "أبو طالب بن محمد بن أبي مدين" ومولاه "عنبر الخصي"،[٢]، وقد أوعز السلطان إلى زعيم عرب المعقل "الأمير علي بن غانم" بمرافقة السفارة في ذهابها وإيابها[٣]، وتبين من هذه السفارة أن هدية السلطان "أبي الحسن المريني" إلى "منسا سليمان" فاقت هديته إلى "الناصر محمد بن قلاوون"[٤]،

وصلت السفارة المرينية مالي، واستقبلها منسا سليمان، فأكرم وفادتهم وأحسن لأعضاء الوفد المغربي، ولا شك أن سفارة أبي الحسن قد أبلغت منسا سليمان تعازيه الحارة على وفاة أخيه منسا موسى ــ الذي ترك آثارًا حسنة في شرق البلاد الإسلامية ــ فحفظها له منسا سليمان ذكرى طيبة، وأبى إلا أن يقتدي بها كسلوك

---

(١) العبر، ج٧، ص٣٥٣؛ ابن مرزوق الخطيب: المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس فيفراس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١م، ص٤٥٤.

(٢) العبر، ج٧، ص٣٥٢-٣٥٣؛ أحمد الشكري: مرجع سابق، ص٢٧٤.

(٣) كانت توجيهات السلطان أبي الحسن المريني لعرب المعقل لمرافقة رسل السلطان، وذلك لحماية السفارة ــ وما تحمله من تحف وهدايا ــ من النهب والاعتداء على طول طريقها المحاط بمخاطر قطاع الطرق من القبائل؛ خاصة وأن قبائل عرب المعقل كانوا في ذلك الوقت يتحكمون في الطريق التجاري الواصل من المغرب عبر درعة وسجلماسة إلى حدود مملكة مالي جنوبًا حتى المحيط الأطلسي، انظر: ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٨٧؛ حسن حافظ علوي: علاقات المغرب الأقصى بمالي من خلال رحلة ابن بطوطة، ندوة ملتقيات ابن بطوطة الدولية للتواصل بين الثقافات، جامعة عبد الملك السعدي، منشورات مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، طنجة، ١٩٩٣م، ص٢٠٠-٢٠٤؛ محمد عبد الكريم شكيران: مرجع سابق، ص٩٥.

(٤) ابن مرزوق الخطيب: مصدر سابق، ص٤٥٢-٤٥٤.

إسلامي مثالي في العلاقات بين الأسر الإسلامية الحاكمة[١]، وعادت السفارة المغربية إلى فاس رافقها وفد من كبار رجال مملكة مالي، وكان الهدف منها تقديم الولاء للسلطان "أبي الحسن المريني"؛ حيث أشار ابن خلدون بقوله: "يعظمون سلطانه ويوجبون حقه ويؤدون طاعته من خضوع مرسلهم، وقيامه بحق السلطان والعمل في مرضاته ما استوصاهم به، وبلغ السلطان أربًا من اعتزازه على الملوك وخضوعهم لسلطانه"[٢]، وهذا السفارة تدل على تأكيد الودّ والإخلاص[٣].

وازدادت العلاقات بين مملكة مالي والمرينيين، وذلك بعد استيلاء السلطان أبي الحسن على تلمسان، واتجه إلى ملك الحفصيين وأراد ضمّه إلى ممتلكاته، وقد تمكن من تحقيق هذا الهدف، حيث مهد إفريقية ودخل تونس العاصمة سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)، فانتهز منسا سليمان الفرصة وأرسل سفارة للسلطان أبي الحسن المريني بمناسبة هذا الانتصار والفتح الجديد[٤]؛ ولهذا يقول ابن بطوطة: "لما قدم الحاج موسى الونجراني رسولًا من عند منسا سليمان إلى مولانا أبي الحسن رضي الله عنه"[٥].

---

(١) وقد حضر ابن بطوطة أثناء إقامته بعاصمة مالي في نهاية سنة (٧٥٣هـ/ ١٣٥٣م) حفلًا أقامه منسا سليمان برسم عزاء أبي الحسن (٧٥٣هـ/ ١٣٥٣م)، وهذا التقليد لم نسمع به من قبل، ولم نألفه لدى حكام بلاد السودان، انظر: تحفة النظار، ج٢، ص٧٨٢؛ أحمد الشكري: مرجع سابق، ص٢٧٤.

(٢) العبر، ج٧، ص٣٥٣.

(٣) المصدر السابق، ج٧، ص٤١١.

(٤) وكان الهدف من فتح أبي الحسن المريني لتلمسان وإفريقية، يتمثل في محاولته تمهيد الطريق أمام الحجاج المغاربة حتى لا يتعرضوا للمضايقات، انظر: ابن مرزوق الخطيب: مصدر سابق، ص٣٥٥-٣٨٥.

(٥) تحفة النظار، ج٤، ص٤٠٩.

غير أن الأحداث التي واكبت فتح إفريقية، والتي كان من نتائجها إقصاء أبي الحسن عن الملك من طرف ابنه "أبو عنان فارس المتوكل بن علي" (٧٥٢-٧٥٩هـ/ ١٣٥١-١٣٥٧م)، جعل سفارة منسا سليمان تصل في ظروف سياسية مضطربة، الأمر الذي جعل أعضاء السفارة يحاولون اللحاق بالسلطان "أبي الحسن المريني" المقيم بتونس، فمروا على مدينة قسنطينة بالمغرب الأوسط، وهنالك تعرضت السفارة المالية للاعتداء والنهب كغيرها من السفارات التي جاءت للتهنئة، وتمكن أعضاء الوفد من النجاة، ثم تابعوا طريقهم إلى أن وصلوا إلى تونس، ولكن من دون الهدايا التي كانوا يحملونها للسلطان "أبي الحسن المريني"[(١)].

وتأكيدًا لاستمرار العلاقات بين البلدين فبعد انتهاء "أبي عنان" من مشكلة العرش مع والده أرسل ابن بطوطة إلى مملكة مالي، وذلك في جمادى الأولى سنة (٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م) [(٢)]، إلا أن السلطان منسا سليمان بدلًا من أن يجامل أبا عنان بسفارة أو هدية، فضّل أن يقيم حفلًا رسميًا لعزاء والده "أبي الحسن المريني"[(٣)]، ودعا إليه ابن

---

(١) العبر، ج٧، ص٤١١، أحمد الشكري: مرجع سابق، ص٢٧٥.

(٢) ولعل الهدف من هذه السفارة التعرف على أحوال مملكة مالي، ودراسة الطرق التجارية، والوقوف على مدى حجم التجارة في الذهب المتبادلة بين ولايات النيجر وبين مصر، وذلك للعمل على نقل ما يستطيع نقله إلى بلاده، ومن المرجح أن سفارة ابن بطوطة قد خلقت أجواءً مشحونة بالتوتر بين مالي والمرينيين، وأساءت إلى علاقات البلدين، مما يفسر نظرة الارتياب والحذر الشديدين اللذين أصبح منسا سليمان يتابع بهما أبا عنان، مما أدى إلى انقطاع السفارات والهدايا بينهما، انظر: تحفة النظار، ج٢، ص٧٨٢؛ إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، ص٩٦؛ أحمد الشكري: مرجع سابق، ص٢٧٧؛

*Gouilly,A: L Islam dans IAfrique Occidentale Francaise, Paris, 1952, p.p.55-56, Bovill, E.W: Op, Cit, p.94.*

(٣) توفي السلطان أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان في ربيع الأول (٧٥٢هـ/ مايو ١٣٥١م)، بعد أن حكم إحدى وعشرين سنة، وأبو عنان فارس هو ابنه وحكم خمس سنوات، ←←←

بطوطة ليبلغ سلطانه بما رأى، وليكون شاهدًا على موقف سلطان مالي من الظروف المستجدة[١]، ولا شك أن الرحلة قد خلقت أجواء مشحونة بالتوتر بين مملكة مالي ودولة بني مرين، وأساءت إلى علاقات البلدين مما يفسر نظرة الارتياب والحذر الشديد الذي أصبح في ذهن منسا سليمان وهو يتابع سياسة أبي عنان، وما يدل على ذلك هو انقطاع السفارات والهدايا بينهما، فمن الواضح أن أبا عنان لم يكن أقل شأنًا من والده أبي الحسن في إنجازاته السياسية والعسكرية، ولو كانت علاقته مع منسا سليمان يسودها الود والصفاء كما جرت العادة لدى حكام مالي، لوصلته سفارة لتهنئته بمناسبة فتحه تلمسان عام (٧٤٥هـ/ ١٣٥٤م)، وبمناسبة فتحه تونس عام (٧٥٨هـ/ ١٣٥٨م)[٢].

ويذكر بعض الباحثين بأن سفارة ابن بطوطة تلك، لم تكن سببًا في توتر علاقات "منسا سليمان" والسلطان "أبي عنان" لاكتشاف أمرها وغرضها من قبل سلطات مالي؛ لأن نصوص ابن بطوطة لا توحي بذلك أبدًا، حيث عومل معاملة طبيعية من قبل منسا سليمان الذي منحه هدايا تقدر بمائة مثقال ذهبي عند انصرافه من البلاط المالي، ومما يفند ذلك الرأي أيضًا مجريات الأحداث التاريخية وتواريخها؛ فالسفارة المالية توقفت بمدينة إيوالاتن سنة (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م)، ومرَّ ابن بطوطة بتلك المدينة وهو في طريقه إلى مالي، ولم يذكر لنا شيئًا عن تلك السفارة، ومن المعلوم أن رحلة ابن بطوطة انتهت سنة (٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م)، وكان بمقدور منسا سليمان

---

→→→

انظر: ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م، ج٣، ص٧٤-٧٥-١٩٣.

(١) أحمد الشكري: مرجع سابق، ص٢٧٨.

(٢) ابن خلدون: مصدر سابق، ج٧، ص٦٤٤-٦٤٥؛ شوقي الجمل: الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا، مجلة المناهل، السنة الثالثة، نوفمبر، ١٩٧٦م، ع٧، ص١٣٨.

في أثناء ذلك أن يقرر متابعة إرسال السفارة إلى أبي عنان، لكنه لم يفعل شيئًا حيال ذلك، ما يدل على توتر العلاقات بين البلاطين قبل تلك الرحلة(١).

ولذلك فإن ابن بطوطة أسهم بدور كبير في عدم تعزيز العلاقات الدبلوماسية مع مالي، بعد أن شرح للسلطان "أبي عنان" واقع تلك البلاد، وأقنعه بعدم فعالية التواصل الدبلوماسي أو إنشاء علاقات ندّية معهم، ما جعل المرينيين يترفعون عن صداقتهم إلى آخر دولتهم، خاصة أن العلاقات التجارية والثقافية بين الطرفين ظلت على وتيرة جيدة، ولم تتأثر بانقطاع السفارات بينهما(٢).

---

(١) محمد عبد الكريم شكيران: مرجع سابق، ص١٠٠؛ لا تتحدث المصادر التاريخية عن تبادل السفارات بين المغرب الأقصى ومالي ما بين وفاة أبي الحسن علي (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م) وتاريخ وفاة ابنه أبي عنان فارس (٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م)، وهو ما يمكن اعتباره دليلًا على القول بفتور العلاقات بين الجانبين خلال هذه المدة، وحجتنا في ذلك، أن ابن خلدون الذي يُعد المصدر الرئيس للمعلومات عن هذا الموضوع، تحدث عن سفارة جهزها منسا سليمان في السنوات الأخيرة من حكمه؛ ضمنها طرف أرضه وغرائب بلاده، ثم أرسلها في اتجاه فاس، لكنه هلك عند وصولها إلى ايوالاتن، فتوقف كل من كان معها عند سماعه الخبر، ومعلوم أن وفاة منسا سليمان كانت سنة (٧٦١هـ/ ١٣٦٠م)، أي بعد وفاة أبي عنان فارس بسنتين، فيستنتج من ذلك أن سفارة منسا سليمان وجهت للسلطان المريني "أبي بكر السعيد" أو على الأصح للقائم بأمره وزيره "الحسن بن عمر" اعتبارًا لأن عمر هذا السلطان لم يكن يتعدى خمس سنوات، انظر: العبر، ج٧، ص٤١١؛ حسن حافظ علوي: مرجع سابق، ص١٨٩.

(٢) محمد زنيبر: المغرب في العصر الوسيط، تنسيق: محمد المغراوي، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ط١، ١٩٩٩م، ص٤١٨-٤١٩؛ محمد عبد الكريم شكيران: مرجع سابق، ص٩٤.

لقد كانت لدى حكام مملكة مالي رغبة عميقة لتوطيد علاقاتهم مع القوى السياسية في بلاد المغرب وغيرها، وكانوا يطمحون من وراء ذلك إلى تزكية كلمة الإسلام ببلاد السودان ليس إلا[١]، وهذا ما فهمه جيدًا أبو الحسن المريني، وربما يكون أبو عنان قد استوعبه كذلك، وأراد أن ينحو بعلاقات البلدين نحو آفاق أرحب ويسطّر لها مسارات جديدة بناءً على معطيات سفارة ابن بطوطة[٢].

وخلاصة القول: تمثل العلاقات السياسية بين مملكة مالي وبلاد المغرب، وتبادل الهدايا والسفارات بين الطرفين على الصعيد الرسمي انفتاحًا في السياسة الخارجية للبلدين المسلمين، وتعكس الرغبة في تعميق الاتصال السياسي والحضاري بينهما.

---

(١) بعد دخول الإسلام إلى بلاد السودان الغربي؛ بدأت المراكز الحضارية تظهر على خريطة المنطقة فنشأت مدن "تنبكت وجني وجاو"، وصارت هذه المراكز ركائز الدعوة الإسلامية في تلك المنطقة، وصار الإسلام يمثل العصر الذهبي لها؛ حيث أعطاها الدين الإسلامي حضارة قومية إسلامية، وقامت حكومات ونظم إدارية متقدمة، وصار الإسلام قوة دافعة وطاقة محركة خطت بالحياة الإنسانية في غربي القارة، فقد أسهمت هذه الجهود في بناء حضارة راسخة تمثلت في قيام مملكة مالي الإسلامية، ثم مملكة صنغي، انظر: عبد الله عبد الرازق إبراهيم: الدعوة الإسلامية والتحديات المحلية في غربي إفريقية، مجلة الدارة، ١٩٩٣م، ع٤، ص٢٣٢؛ عبد السلام سفيري: ابن بطوطة في السودان الغربي ٧٥٣-٧٥٤هـ/ ١٣٥٢-١٣٥٣م، ندوة ملتقيات ابن بطوطة الدولية للتواصل بين الثقافات، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، طنجة، ١٩٩٣م، ص٢٤٩.

(٢) تحفة النظار، ج٢، ص٧٩٩؛ أحمد الشكري: مرجع سابق، ص٢٧٩؛ الدهماني سالم الدهماني: ملامح من العلاقات السياسية والتجارية والثقافية بين المغرب الأقصى في العصر المريني ومملكة مالي الإسلامية، المجلة العربية للعلوم الاجتماعية، ليبيا، ٢٠١٥م، ع٧، ص٢٠٣-٢٠٤.

## سادساً: ضعف مملكة مالي ووفاة منسا سليمان:

بدأ تدهور مملكة مالي على أثر وفاة منسا موسى (٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م)، وتمثل في ضعف خلفاء منسا موسى والانقسام العائلي وكثرة الفتن الداخلية، وضعف الولاء نحو الأسرة الحاكمة، واضطراب الأمن، الأمر الذي أدى إلى نجاح مملكة صنغي في الانفصال عن مملكة مالي وأعلنت استقلالها سنة (٧٥٥هـ/ ١٣٥٥م) بزعامة "علي كولن، وأخيه سليمان نار"[١]، ورغم قوة "منسا سليمان" في ذلك الوقت إلا أنه لم يستطيع إخضاع صنغي وإعادتها إلى الولاء والطاعة؛ وذلك بسبب الاضطرابات الداخلية، والتي تمثلت في المؤامرة التي دبرتها زوجته "قاسا"[٢] ضده، بالاشتراك مع أحد أبناء عمومتها[٣].

---

(١) استطاع منسا موسى السيطرة على صنغي، ولكي يضمن خضوع ملك صنغي له، أخذ معه إلى مالي اثنين من أبناء حاكم صنغي رهائن، وهما: على كولن وسليمان نار، ولكن بعد وفاته تولى بعده الحكم ابنه مغا وكان سيئ التدبير قصير النظر، فقد منح الرهائن من أمراء صنغي مزيدًا من الحرية الأمر الذي أدى إلى هروبهما، وإذا كان السعيدي قد ألم ببعض تفاصيل هذا الحدث والظروف التي اكتنفته، فإنه لم يفصح لنا عن تاريخ الواقعة، ومن المرجح أن يكون هروبهما قد تم قرابة سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م)، انظر: تاريخ السودان، ص٥-٦.

(٢) وكان لسلطان مملكة مالي أكثر من زوجة فعندما تم خلع قاسا عن السلطنة ولى مكانها زوجته الأخرى وتدعى "بنجو"، ولم تكن من بنات الملوك فأكثر الناس الكلام في ذلك وأنكروا فعله، وكان عدم الاعتراف ببنجو كزوجة أولى قد أجج الصراع بين الملكتين حيث كانت قاسا تعامل كزوجة أولى، إلا أن تآمرها مع جاطل كان سببًا في إبعادها، انظر: إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، ص١٠٦؛ بانيكار: مرجع سابق، ص١١٠-١١١.

(٣) بطل شعبان محمد غرياني: الحرب والمجتمع في السودان الغربي (٧٢٦-١٠٠٠هـ/ ١٣٢٥-١٥٩١م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠١٥م، ص٩٠.

وعلى الرغم من القضاء على هذه المؤامرة، إلا أن مملكة مالي بعد وفاة منسا سليمان عام (٧٦١هـ/ ١٣٦٠م) دخلت في مرحلة طويلة من الضعف والانهيار والتفكك؛ نتيجة لسوء إدارة خلفائه من بعده، فقد وصل إلى الحكم ملوك ضعاف، منهم "منسا قسا بن منسا سليمان" الذي حكم تسعة أشهر فقط عام (٧٦١هـ/ ١٣٦٠م)(١)، وتم قتله على أيدي "ماري جاطه الثاني" (٧٦١-٧٧٥هـ/ ١٣٦٠-١٣٧٤م)(٢)، وبهذا شهدت مرحلة ما بعد منسا سليمان صراعًا شديدًا حول السلطة تمخض عنه بعض الحروب بين أبناء الأسرة الحاكمة المنحدرين جميعًا من نسل ماري جاطه الأول، وهذا ما أكده ابن خلدون بقوله: " بعد موت منسا سليمان اختلف أهل مالي وافترق أمرهم وتواثب ملوكهم على الأمر، وقتل بعضهم بعضًا، وشغلوا بالفتنة حتى قام فيهم منسا جاطه واستوثق له أمرهم "(٣).

ولهذا يمكن القول: بوفاة منسا سليمان عام (٧٦١هـ/ ١٣٦٠م) والذي يمثل أحد أواخر عهود الازدهار التي عرفتها مملكة مالي الإسلامية، سرعان ما دخلت البلاد في اضطرابات سياسية تمثلت في الصراع على السلطة، وتسلط واستبداد الوزراء بالسلطة(٤)، أثرت هذه الاضطرابات على العائلة المالكة، وسمحت بانتقال الحكم لصالح قوة أخرى تمثلت في مملكة صنغي، والتي تقع ضمن ذلك الجزء المعروف ببلاد السودان الغربي.

---

(١) ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٢٦٨؛ أحمد الشكري: مرجع سابق، ص١٨٤.

*(2)Levtzion, N: The Thirteenth and Fourteenth Century Kings of Mali, PP. 348-349.*

(٣) العبر، ج٧، ص٤١١.

(٤) بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، ٢٠٠٥/٢٠٠٦م، ص٤٦-٤٧.

## الخاتمة

بعد دراسة موضوع " الأحوال السياسية لمملكة مالي في عهد منسا سليمان (٧٤١-٧٦١هـ/ ١٣٤١-١٣٦٠م)؛ تم التوصل إلى العديد من النتائج والتوصيات يمكن إبرازها على النحو التالي:

### أولًا- النتائج:-

أثبتت الدراسة أن منسا موسى قام بتعيين ابنه "مغا" نائبًا له، ومن ثم خلفه في السلطة بعد وفاته باعتباره أكبر الأبناء الذكور في الأسرة الحاكمة، ولكن بوصوله إلى العرش دخلت مملكة مالي في حالة من الاضطرابات، وساءت أحوالها، الأمر الذي جعل منسا سليمان يبذل جهدًا كبيرًا لإصلاح ما أفسده ابن أخيه، وإعادة السيطرة على معظم الأقاليم التي فقدتها مالي.

أكدت الدراسة أن منسا سليمان قد حظي باحترام وتعظيم وهيبة بالغة من قِبل الرعايا تقترب من درجة التقديس والعبودية، كما وصفته المصادر بالعدل والصلاح وعدم قبوله للظلم، فكان محافظًا على الصلاة وحفظ القرآن وكان يشجع على حفظه والاهتمام بالتعليم وبناء المساجد.

بينت الدراسة أن طابع الحكم في مملكة مالي كان استبداديًا، والملكية مطلقة، وكان المنسا رئيس الحكومة ومصدر السلطات، ومحاطًا بعدد من كبار الموظفين وذوي المناصب الرفيعة.

أكدت الدراسة علو شأن المرأة وسمو مكانتها في مملكة مالي، وذلك بمشاركتها للسلطان في الحكم، وذكر اسمها مع اسمه على المنبر، وهذا ما حدث مع منسا سليمان عندما شاركته زوجته في الحكم، وهذا يدل على الدور الفعال الذي شاركت به المرأة في الحياة السياسية في مملكة مالي.

أثبتت الدراسة اعتماد منسا سليمان في حكمه على نظام المركزية، ونجح هو وغيره من سلاطين مالي الأقوياء في إدارة شئون المملكة وتنظيم أرجائها المتسعة، والذي يبرهن على قدرة السودانيين على تنظيم شئونهم وإدارة حكوماتهم.

أثبتت الدراسة أن نظام القضاء في مملكة مالي، كان دقيقًا، وكان موضع عناية كبرى من السلطان، وهو أقرب ما يكون منقولًا عن الشرق الإسلامي ولا سيما مصر، ووجد القضاة السود بجانب القضاة البيض، واحتل هؤلاء جميعًا مركزًا ساميًا في المجتمع.

بينت الدراسة أن بيت القاضي كان ملجأً للفقراء من بطش الحكام؛ وذلك إذا تعرضوا لظلم من جانب السلطة الحاكمة، وهذا يدل على مدى المكانة التي حظي بها القضاة لدى ملوك مالي بل عند العامة والخاصة.

أثبتت الدراسة أن عدد العلماء والفقهاء السودانيين في عهد مملكة مالي كان قليلًا جدًا، مما يعني أن بلاد السودان الغربي على عهد مملكة مالي كانت لا تزال تعيش مرحلة الاستيعاب والتكوين، الأمر الذي يوضح أن جل قضاة مملكة مالي كانوا غير سودانيين.

بينت الدراسة أن علاقة مملكة مالي بالممالك والدول السودانية المجاورة تجارية تقوم على تبادل المنفعة، ولكن وجدت العلاقات السياسية والحربية وأساسها مطامع مملكة مالي في التوسع الحربي على حساب جيرانها، ونشر الدين الإسلامي بين الوثنيين.

بينت الدراسة أنه كان لدى حكام مملكة مالي رغبة عميقة لتوطيد علاقاتهم مع القوى السياسية في بلاد المغرب وغيرها، وكانوا يطمحون من وراء ذلك إلى تزكية كلمة الإسلام ببلاد السودان، الأمر الذي أدى إلى تعميق الاتصال السياسي والحضاري بينهما.

أكدت الدراسة أن عهد منسا سليمان كان يمثل أحد أواخر عهود الازدهار التي عرفتها مملكة مالي الإسلامية، ولكن بعد وفاته سرعان ما دخلت البلاد في اضطرابات سياسية تمثلت في الصراع على السلطة، وتسلط واستبداد الوزراء بالسلطة.

أثبتت الدراسة أن ابن بطوطة ترك لنا مرجعًا لا يمكن الاستغناء عنه لمعرفة أحوال البلدان في العصور الوسطى، وترك لنا وصفًا دقيقًا وأمينًا لأحوال مملكة مالي في تللك الفترة، ولولا ما دوَّنَهُ لكانت الكثير من الحقائق عن تلك البلاد مجهولة.

## ثانياً- التوصيات:-

دراسة وتحقيق الإنتاج العلمي القيم لعلماء بلاد السودان الغربي، الذين ألفوا وصنفوا باللغة العربية في شتى فنون المعرفة في: نياني، وتنبكت، وجاو، وغيرها من مراكز الحضارة في بلاد السودان الغربي.

توجيه الباحثين لدراسة، وتحقيق ذلك العدد الهائل من المخطوطات الموجودة بمراكز البحوث، ومكتبات الجامعات بجميع أقطار غرب إفريقيا وبعض العواصم الأوربية.

تكثيف الدراسات التاريخية، وذلك من خلال إنشاء مركز بحثي يُعني بالدراسات التاريخية لمنطقة غرب إفريقيا التي عُرفت ببلاد السودان الغربي في العصور الوسطى؛ لأن هناك مخطوطات ووثائق لا زالت تحتاج إلى بحث وتحقيق.

**والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل،،،**

# المصادر والمراجع

## أولًا: المصادر:

أحمد بابير الأرواني:

١- جواهر الحسان في أخبار السودان، مخطوطة محفوظة بمعهد البحوث في العلوم الإنسانية، جامعة نيامي، النيجر، تحت رقم ١٠٦.

ابن الأحمر( إسماعيل بن يوسف بن محمد بن نصر الأنصاري ( ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م):

٢- النفحة النسرينية واللمحة المرينية، دار سعد الدين، دمشق، ١٩٩٢م.

ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي، ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م):

٣- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز، ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م):

٤- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

ابن حجر ( شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م ):

٥- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م.

الحميري (محمد بن عبد المنعم الحميري، ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م):

٦- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٧٥م.

ابن الخطيب لسان الدين (ت٧٧٦هـ/ ١٩٧٤م):

٧- شرح رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، ١٨٩٨م.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن أبي محمد بن الحسن، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م):

٨- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبطه ووضع حواشيه الأستاذ: خليل شحادة، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.

ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله الفاسي، ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م):

٩- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٩٩٩م.

ابن سعيد (أبو الحسن علي بن سعيد المغربي، ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٥م):

١٠- كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٠م.

السعيدي (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعيدي، ت ١٠٦٧هـ /١٦٥٦م):

١١- ملوك السودان أهل سنغي وقصصهم وأخبارهم وغزواتهم، وذكر تنبكت ونشأتها ومن ملكها من الملوك، تحقيق: هوداس وبنوا، مطبعة أنجي، باريس، ١٨٩٨م.

العمري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيي، ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

١٢- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات وآخرين، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي، ٢٠٠١م.

أبو الفداء ( إسماعيل بن علي بن محمود بن عمر الأيوبي، ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م):

١٣- تقويم البلدان، دار صادر، بيروت د.ت.

ابن القاضي (أحمد ابن القاضي المكناسي (ت١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م):

١٤- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م.

القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي، ت ٨٢١هـ/١٤١٨م ):

١٥- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٥.

مارمول كربخال (من أهل القرن العاشر الهجري، ألف كتابه بعد عام ٩٧٩هـ /١٥٧١م):

١٦- إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد زنيبر وآخرين، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، ١٩٨٩م.

محمد المفتي مرحبا:

١٧- تاريخ ملوك بلاد الموشى وأحوالهم، مخطوطة محفوظة بمعهد البحوث في العلوم الإنسانية، جامعة نيامي، النيجر، تحت رقم ٦.

محمود كعت (ابن الحاج المتوكل كعت الكرمني، ت ١٠٠٢هـ/١٥٩٣م ):

١٨- تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشره هوداس ودولافوس، مطبعة إنجي، باريس، ١٩١٣م.

ابن مرزوق الخطيب (محمد بن أحمد بن محمد التلمساني (ت٧٨١هـ/ ١٩٧٩م):

١٩- المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس فيفراس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١م.

المقريزي ( تقي الدين أحمد بن علي، ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م ):

٢٠- السلوك في معرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، دار الكتب

المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٧١م.

الناصري ( أبو العباس أحمد بن خالد، ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٥م ):

٢١- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٥م.

الوزان ( الحسن بن محمد الوزان، ت ٩٦٠هـ/١٥٥٢م ):

٢٢- وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

ياقوت الحموي ( شهاب الدين أبو عبد الله، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م ):

٢٣- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

اليعقوبي ( أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، ت ٢٨٤هـ/٩٨٢م ):

٢٤- تاريخ اليعقوبي، بيروت، ١٩٦٠م.

## ثانياً: المراجع العربية والمعربة:-

إبراهيم طرخان ( دكتور ):

٢٥- إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢٦- دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.

إبراهيم مصطفى وآخرون:

٢٧- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، القاهرة، د.ت.

أبو بكر إسماعيل محمد ميقا:

٢٨- تاريخ الثقافة الإسلامية والتعليم في السودان الغربي (إفريقيا الغربية) من القرن الرابع الهجري حتى مطلع القرن الثالث عشر، مجلة الدارة، دارة الملك عبد العزيز، مج١٩، ع٢، ١٩٩٣م.

أحمد الشكري (دكتور):

٢٩- الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩م.

إسماعيل العربي (دكتور):

٣٠- الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٣م.

السيد عبد العزيز سالم (دكتور):

٣١-تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٩م.

الشيخ الأمين عوض الله (دكتور):

٣٢- العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين: مالي، وسنغي، دار المجمع العلمي، جدة، ١٩٧٩م.

باسيل دافيدسون:

٣٣- إفريقيا القديمة تكتشف من جديد، ترجمة: نبيل بدر، وسعد زغلول، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

بانيكار. ك. مادهو:

٣٤- الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غربي إفريقيا، ترجمة: أحمد

فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨م.

بوفيل:

٣٥- الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وآثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، ترجمة: زاهر رياض، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م.

جبريل نياني:

٣٦- مالي والتوسع الثاني للماندانغ، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع: إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، اليونسكو، ١٩٨٨م.

جوان جوزيف:

٣٧- الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء، ترجمة: مختار السويفي، دار الكتب الإسلامية ودار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، القاهرة، ط١، ١٩٨٤م.

حسن إبراهيم حسن (دكتور):

٣٨- انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٣م.

حسن أحمد محمود (دكتور):

٣٩- دور العرب في نشر الحضارة في غرب إفريقيا، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م.

حسين مراد (دكتور):

٤٠- التكرور، موسوعة التاريخ الإسلامي، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ٢٠١٥م.

٤١- الصلات بين المغرب والسودان الغربي (خلال القرن ٢-٦هـ/ ٨-١٢م)، مؤتمر جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، ٢٠٠٦م.

رينهارت بيتر آن دُوزِي:

٤٢- تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمَّد سَليم النعَيمي، وجمال الخياط، نشر وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط١، ٢٠٠٠م.

شارل أندرية جوليان:

٤٣- تاريخ إفريقيا: ترجمة: طلعت عوض، مراجعة: عبد المنعم ماجد، دار النهضة، القاهرة، ١٩٦٨م.

صلاح الدين المنجد ( دكتور):

٤٤- مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين، دار الكتاب الجديد، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٢م.

عبد الرحمن زكي (دكتور):

٤٥- الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مطبعة يوسف، القاهرة، د.ت.

٤٦- تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ١٩٦١م.

عبد القادر زباديه (دكتور):

٤٧- مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧١م.

عثمان برايما باري (دكتور):

٤٨- جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للنشر والتوزيع،

القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

عطية مخزوم الفيتوري (دكتور):

٤٩- دراسات في تاريخ شرق أفريقيا جنوب الصحراء، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٨م.

فيج. جي. دي:

٥٠- تاريخ غرب أفريقيا، ترجمة: السيد يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م.

محمد سعيد القشاط (دكتور):

٥١- صحراء العرب الكبرى، دار الراوي للطباعة والنشر، طرابلس، ليبيا، ط١، ١٩٩٤م.

محمود الشرقاوي:

٥٢- رحلة ابن بطوطة من طنجة إلى الصين والأندلس وإفريقيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م.

محمد زنيبر:

٥٣- المغرب في العصر الوسيط، تنسيق: محمد المغراوي، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ط١، ١٩٩٩م.

مصطفى اللمطي:

٥٤- ملوك المغرب وعلاقتهم بشبه الجزيرة الأيبيرية، مطبعة بنجلون، فاس، ط١، ٢٠١٠م.

مطير سعد غيث (دكتور) :

٥٥- التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، دار الرواد، بني غازي، ط١، ١٩٩٦م.

ميشيل ايزرارد:

٥٦- شعوب وممالك منعطف النيجر وحوض الفولتا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، تاريخ إفريقيا العام، مج، اليونسكو، ١٩٨٨م.

نعيم قداح (دكتور):

٥٧- إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٧٥م.

## ثالثاً: المراجع الأجنبية:-

*Bell, N, M:*

*58- The Age of Mansa Musa of Mali (I.J.A.H.S) Vol.5.No.2.1972.*

*Bovill, E,W:*

*59- The Golden Trade of the Moors, London, 1961.*

*Cuoq, J:*

*60- Histoire de I 'Islam is ation de L'Afriqua de L'Afrique de Locust, des original fin du ex l'esiècle, Paris Libraries orientalist Paul Geithner, 1984.*

*Delafosse, M:*

*61-Haut Sénégal-Niger :édition :Emil la rose librairie, Paris 1912 .*

*Gouilly, A:*

*62- L Islam dans, IAfrique Occidentale, Francais, Paris,1952.*

*Hogben. S. :*

*63-The Muhammadan Emirates of Nigeria, London, 1930 .*

*Johnston, H.H:*

*64- A History of the Colonization of Africa by Allien Races, Cambridge, 1931.*

*Lady, Lugard, F:*

*65- A Tropical Dependency Anoutline of the Ancient History of the Western Soudan With an account of Modern settlement, London, 1905.*

*Levtzion, N:*

*66-The Thirteenth and Fourteenth Century Kings of Mali, The Journal of African History, Vol. 4, No. 3, 1963.*

*67- Ancient Ghana And Mali, Africana Publishing Company, New York, 1980.*

*Monteil, Charies:*

*68- Les Empires du Mali, Paris, 1930.*

*Niani, D:*

*69- Mise Enplace des Populations, de la haute guinee In Revueethiopique, (No2, Avril), 1960.*

*Rachel Maclean and Timothy Insoll:*

*70-The Examples of Islamic Gao (Mali) and Bahrain, world Archaeology, Vol. 34, No.3,luxury food. Feb.2003.*

*Spiz, G:*

*71- LOuest African Francais, Paris, 1947.*

*Trimingham , J , S:*

*72-A History Of Islam In West Africa , Oxford, 1962.*

*Willard, Alice Louise:*

*73- Rivers Of Gold, Oceans Of Sand: The Songhay In The West African World-System, Doctor Of Philosophy, The John Hopkins University, Mary Land, U.S.A, 1999.*

## رابعاً: الأبحاث والدوريات:-

**أبو بكر إسماعيل ميقا:**

**٧٤- نظام القضاء في دولة سنغاي الإسلامية في عهد ملوك آل آسكيا، مجلة الدارة، الرياض- المملكة العربية السعودية، ع٢، ١٩٩٣م.**

**الدهماني سالم الدهماني:**

٧٥- ملامح من العلاقات السياسية والتجارية والثقافية بين المغرب الأقصى في العصر المريني ومملكة مالي الإسلامية، المجلة العربية للعلوم الاجتماعية، ليبيا، ٢٠١٥م.

حسن حافظ علوي:

٧٦-علاقات المغرب الأقصى بمالي من خلال رحلة ابن بطوطة، ندوة ملتقيات ابن بطوطة الدولية للتواصل بين الثقافات، جامعة عبد الملك السعدي، منشورات مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، طنجة، ١٩٩٣م.

خالد بن علي النجمي:

٧٧- المعماري الأندلسي أبو إسحاق الساحلي (ت ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م) أثره العمراني وامتداده الأسري في السودان الغربي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع٦٦، ٢٠٢٢م.

دريد عبد القادر نوري:

٧٨- دور الحج في ربط السودان الغربي بالوطن العربي بعد القرن الخامس الهجري، رسالة الخليج العربي، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٣م.

شوقي الجمل:

٧٩- الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا، مجلة المناهل، السنة الثالثة، نوفمبر، ١٩٧٦م.

عبد السلام سفيري:

٨٠- ابن بطوطة في السودان الغربي ٧٥٣-٧٥٤هـ/ ١٣٥٢-١٣٥٣م، ندوة ملتقيات ابن بطوطة الدولية للتواصل بين الثقافات، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، طنجة، ١٩٩٣م.

عبد الله عبد الرازق

٨١- إبراهيم: الدعوة الإسلامية والتحديات المحلية في غربي إفريقية، مجلة الدارة، ١٩٩٣م.

محمد عبد الكريم شكيران:

٨٢- السفارات الدبلوماسية بين دولة بني مرين ومملكة مالي (٧٣٧-٧٦٢هـ/ ١٣٣٦-١٣٦٠م)، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، مج٤٩، ٢٠١٥.

**خامساً: الرسائل العلمية:-**

بطل شعبان محمد غرياني:

٨٣- الحرب والمجتمع في السودان الغربي (٧٢٦-١٠٠٠هـ/ ١٣٢٥-١٥٩١م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠١٥م، ص٩٠.

بودواية مبخوت:

٨٤- العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، ٢٠٠٥/٢٠٠٦م.

فاي منصور علي:

٨٥- دولة مالي الإسلامية في عصرها الذهبي على عهد السلطان منسا موسى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٩٨٤م.